٦٩
المجلد

ISSN 2347-2456

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد الخامس – المجلد التاسع والستون – ذو القعدة ١٤٤٤هـ – يونيو ٢٠٢٣م

- هيهات لا يأتي الزمان بمثله ! (افتتاحية العدد)
- أسباب حيرة الشباب وعلاجها
- قصة أصحاب الكهف وما لها من نتائج وعبر
- صفات الحديد في القرآن الكريم
- المؤامرة الغربية ضد المرأة المسلمة
- التعليم النبوي : طرقه وأساليبه ووسائله
- التسويق الشبكي الهرمي من وجهة نظر إسلامية
- مبادئ أساسية لتعلم اللغة العربية
- التصوّر الذهني في الصناعة النحوية ودورها في اللغة العربيّة
- وحنينه أبداً لأول منزل
- وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ- الهند
If undelivered please return to:
Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.
Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عمليًا ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غبارًا لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية ، مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوّق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تُراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيرًا ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيرًا ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع. هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقودًا في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقًا الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغارًا متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

- في الهند

أربع مأة (بالبريد العادي)	٤٠٠ / روبية
ست مأة و عشرون(بالبريد المسجل)	٦٢٠ / روبية
ثمن النسخة	٤٠ / روبية

- في العالم العربي ، وفي جميع دول العالم:

٥٠ /دولارًا بالبريد الجوي ، أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

- المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك: باسم "البعث الإسلامي"

AL-BAAS, A/C NO. 10863759846
IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157
STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر) ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT , NADWATUL ULAMA
P.O. BOX. 93, LUCKNOW - 226007 - U.P. (INDIA)

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد ٦٩

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

مؤسسة الصحافة والنشر

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

June 2023 يونيو ٢٠٢٣م

العدد الخامس – المجلد التاسع والستون – ذو القعدة ١٤٤٤هـ – يونيو ٢٠٢٣م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع،وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

المشرف العام

الأستاذ السيد

بلال عبد الحي الحسني الندوي

رئيس التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

مدير التحرير

محمد فرمان الندوي

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدومي الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

محتويات العدد

العدد الخامس – المجلد التاسع والستون – ذو القعدة ١٤٤٤هـ – يونيو ٢٠٢٣م

❖ الافتتاحية :

هيهات لا يأتي الزمان بمثله ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٥

❖ التوجيه الإسلامي :

أسباب حيرة الشباب وعلاجها — الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي — ٩

قصة أصحاب الكهف وما لها من نتائج وعبر — سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ١٥

❖ الدعوة الإسلامية :

صفات الحديد في القرآن الكريم — الأستاذ أحمد أديب محمود عبيدات — ٢٠

المؤامرة الغربية ضد المرأة المسلمة — الأستاذ عبد السلام الرياضي — ٢٤

التعليم النبوي : طرقه وأساليبه ووسائله — الباحث محمد فاروق — ٣١

❖ الفقه الإسلامي :

التسويق الشبكي الهرمي من وجهة نظر إسلامية — الدكتور خورشيد أشرف إقبال الندوي — ٣٧

❖ دراسات وأبحاث :

مبادئ أساسية لتعلم اللغة العربية — الأستاذ إرشاد أحمد السالارزئي — ٤٤

عبد العزيز الميمني في كتابات أبي الحسن علي الندوي وناصر الدين الأسد — الدكتور فيصل نذير — ٥٤

التصوّر الذهني في الصناعة النحوية ودورها في اللغة العربيّة — الباحث محمد أبو طه — ٦٢

❖ رجال من التاريخ :

الشيخ خليل أحمد السهارنفوري وكتابه بذل المجهود في شرح سنن أبي داؤد — د . محمد أكرم نواز الندوي — ٦٩

❖ دراسة في الشعر :

وحنينه أبداً لأول منزل — أ . د . حسن الأمراني — ٧٨

❖ تعريف بكتب :

قصص النبيين للإمام الندوي : دراسة تحليلية — الأستاذ محمد عمر فاروق — ٨٣

الشرق الجديد للدكتور محمد حسين هيكل — الدكتورة عائشة قدسي القدوائي — ٩١

❖ صور وأوضاع :

وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر — محمد فرمان الندوي — ٩٧

❖ إلى رحمة الله تعالى :

١. الشيخ المحدث والمحقق السيد محمد يحيى الندوي إلى رحمة الله — قلم التحرير — ١٠١

٢. الشيخ عبد الأحد الأزهري في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

هيهات لا يأتي الزمان بمثله !

فأجأنا هذا النبأ المفجع وملأنا كمداً وغماً أن سعادة أستاذنا الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي قد انتقل إلى رحمة الله تعالى ، ظهر يوم الخميس في ٢١/ رمضان سنة ١٤٤٤هـ ، الموافق ١٣/ أبريل ٢٠٢٣م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وكان الشيخ نازلاً في دار الضيافة لندوة العلماء منذ أسبوع لمرض عادي ، وكان يشكو النزلة والحمى كعادته في هذا العمر ، وما كان يُخشى أنه سيفارقنا على عجل ، وقد كنت عنده بعد صلاة الظهر في ذلك اليوم ، وكان مضطجعاً على فراشه ، لا يتكلم شيئاً ، كأنه مغشي عليه ، فما إن وصلت إلى البيت حتى سمعت هذا النبأ الحزين ، المفتِّت للأكباد ، وقلت بلسان الشاعر :

يا نفس أجملي جزعا فإنك ما تحذرين قد وقعا

لا شك أن الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي كان خليفة إمامنا ومربينا الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وقد خلفه في جميع الشئون العلمية والإدارية في ندوة العلماء ، وكان موفقاً كل التوفيق في أعماله ونشاطاته ، ذلك لأنه تربى على يديه ، ودرس عليه ، ورافقه في سفره وحضره ، وحله وترحاله ، وقد نال من شفقته وعنايته ما جعله جديراً بالمؤهلات العلمية والدينية ، وكان الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي يجمع في شخصيته صفات متنوعة ومزايا مختلفة ، فكان في جانب عالماً ربانيا ، وقائداً دينياً ، وأستاذاً شفوقاً ، وواعظاً قديراً ، وصحافياً بارعاً ، وإدارياً خبيراً . وفي جانب آخر كان متميزاً بمكارم الأخلاق ، إنه رأس ندوة العلماء ، وقاد هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند ، وأشرف على هيئة التعليم الديني لولاية أترابراديش ، كما راقب عن كثب نشاطات وفعاليات رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وكانت مشوراته السديدة ، وأقضيته المبرمة تقود الأمة الإسلامية الهندية على خطى حثيثة ، وكان سكوته مثل البحر ، وتواضعه مثل الأرض ، وقوته وصلابته مثل الجبل ، وعلو همته مثل السماء ، ففاق بهذه الميزات بين أقرانه ، وليس في عصره من يشاركه في هذه الصفات .

كانت رسالة حياته الدعوة والإصلاح ، وبناء الإنسانية ،

فاستخدم لذلك طرقاً شتى من التأليف والوعظ والتدريس والصحافة ، وكان مطلعاً على نفسيات المستمعين والمخاطبين ، وخبيراً بأحوال الأمم والشعوب ، وقد زار البلدان ، وجال في الأقطار ورأى أوضاعها ودرسها دراسة واعية ، فكانت كلماته وخطبه حول الموضوع حديثاً عن تجارب موسعة ، فكل من زاره أو لقيه أو سمع كلامه تأثر به للغاية .

كانت مجالسه العلمية والإصلاحية تعقد بعد صلاة العشاء في دار الضيافة لندوة العلماء ، يحضرها أساتذة الدار وطلابها ، وكنت أيضاً من المستمعين إلى هذه المجالس ، وهذه السلسلة ليست حديثة من نوعها ، فقد كان الإمام العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي يعقد أمثال هذه المجالس لإفادة الأساتذة والطلاب وعامة الناس ، وكان الناس من المثقفين والعلماء في مدينة لكناؤ يحضرون هذه المجالس الدينية ، ويستفيدون منها ، وظل على هذا الدرب الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي بعد ما عُين رئيساً لندوة العلماء ، فأحياناً تُقرأ كتب علمية ودينية في هذه المجالس ، وأحياناً يقدم أمام الحضور ما بدا له من الأمور الدينية والإصلاحية .

وكان من فضل الله تعالى على نفسي أني التحقت بدار العلوم لندوة العلماء كطالب علم منذ ١٩٥٢م ، ومن أول يوم تعرفت على أستاذنا الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، ثم توثقت هذه الصلة به إلى آخر أنفاس حياته بحمد الله وفضله ، ويغطي ذلك مدة زمانية حوالي ٧٥ عاماً ، وكنت خلال هذه المدة أمام أستاذنا كمحب وتلميذ ومسترشد له ، أتشاور معه ، وأساعده في شئونه العلمية والإدارية ، وقد درست عليه في السنة الأولى للتخصص في الأدب العربي كتاب رنات المثالث والمثاني لأبي الفرج الأصبهاني ، (وهو تلخيص للأغاني) ، وكان أسلوب أستاذنا أسلوباً جميلاً رائعاً ، حينما يشرح الكلمات والمفردات فيخوض في فقهها وباطنها ، وردت مرة خلال الدرس كلمة : حِين في معنى الوقت ، فقال : حان يحين حِيناً معناه قرب ، مثلاً : حانت الصلاة ، وحين جمع أحيان ، قال الشاعر العربي :

وأحياناً على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

وحان يحين حَينا بفتح الحاء في معنى : هلك ، والحين بفتح الحاء : الهلاك والدمار ، قال العرب : نحن في يد الحين بين البحرين ، وقالوا : حيّنه الله : أهلكه الله تعالى .

وحينما بدأ أستاذنا تأليف كتاب منثورات من أدب العرب فكلفنا أن نقوم بشرح الكلمات الصعبة الواردة في هذا الكتاب ، فقمت بهذا

الواجب امتثالاً لأمره ، ولا يزال هذا العمل في حاشية الكتاب ، ولا ننسى أبداً مساهمته وتشجيعه البالغ على إصدار مجلة البعث الإسلامي الصادرة من ندوة العلماء منذ عام ١٩٥٥م ، فإنه أفادنا (أنا وزميلنا الأستاذ السيد محمد الحسني رحمه الله) بتوجيهات قيمة ، وما زالت المجلة تنال عطفه ودعمه العلمي منذ أول يومها ، ففي ملفاتها نشرت له مقالات أدبية ، بحيث لو جُمعت في مجموعة لأخذ ذلك صورة كتاب أدبي قيم ، وفي آخر سنوات حياته لا تزال تنشر مقالاته حول مواضيع متنوعة إما مترجمة أو أصلاً تعميماً لنفع القراء .

صدرت صحيفة الرائد باقتراح أستاذنا الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، وهو المؤسس ورئيس تحريرها الأول ، فإنه جعلنا من مساعديه ومستشاريه ، وكلفنا أن نكتب كلمة أو قصة في عمود الأطفال ، وحينما أصبح الرئيس العام للصحيفة جعلنا نائب الرئيس لها ، والحمد لله على ذلك ، ولا أزال أكتب في صحيفة الرائد منذ أول يومها ، وقد خصص لنا أستاذنا عموداً باسم : كلمة الرائد ، وهو عمود معروف في الصحيفة ، يعرفه كل من يقرأ الصحيفة أو يطالعها .

كم أذكر لأستاذنا من مآثر وحسنات في حياته ، فإن حياته حافلة بالإنجازات العلمية والأعمال الجليلة ، ومن سعادة حظي أنه قدم لعدد من كتبي ومؤلفاتي ، ولا سيما شعراء الرسول في ضوء الواقع والقريض الذي كان مشرفاً عليه إلى إنجازه لنيل شهادة الدكتوراه ، وقد شرفني أن أقدم لبعض كتبه ومؤلفاته ، فكتبت تقديمات وكلمات تعريف بعدد من مؤلفاته ، وهي تطبع وتنشر من دور النشر والتوزيع ، وقد كتبت شيئاً حول مؤلفه القيم الذائع الصيت المعروف : الهداية القرآنية سفينة نجاة للإنسانية :

" ظهر في كل عصر وزمان علماء العربية بدراسة القرآن الكريم والتعمق في معانيه ودقائقه ، وتلقاه الناس بغاية من الاحترام والإعجاب والتقدير ، واستفادوا مما جاء فيه من إشارات وبيانات لنزول السور والآيات وشرح مفاهيم التشريع والتطبيق العملي الذي احتوى عليه كلامهم ، وقد كان في الزمن الأخير مؤلفات كثيرة عن فضل كتاب الله تعالى وعظمة بيانه وشرفه وتطابق معناه مع طبيعة الإنسان والكون ، فكان لسماحة العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي كتاب حول انطباعاته عن كتاب الله تعالى في ضوء أقوال وآراء علماء التفسير ، وما فيه من دعوة تبليغية إلى دين الإسلام والإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وما فيه من أفكار وآراء علمية وبيانية تعين على فهم خلود الدين

وشموليته ، وتثير في النفس عواطف الحب والاستسلام لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللقرآن الكريم وشريعته الباقية النامية الخالدة "
(تقديم الكتاب ٣١ – ٣٣ ، طبع دار القلم) .

نالت ندوة العلماء في حياته صيتاً حسناً ، وشهرةً فائقةً ، وقد وصل صوتها إلى جميع القارات ، وتوسعت دوائرها ، وتشبعت ، حتى ازداد عدد خريجي دار العلوم لندوة العلماء في عهده بكثرة كاثرة ، وكان يركز كثيراً على تربية الطلاب ليتحلى الطلاب بالثقافة الدينية ، فيجمع الطلاب أحياناً في جامع ندوة العلماء باقتراح مني كمدير لدار العلوم ، ويخطب خطباً وكلمات نابعة من قرارة القلب ، تؤثر تأثيراً كبيراً ، وقد كان يتخول أساتذة دار العلوم ومدرسيها بالموعظة والنصح ، لكي يكونوا نشطاء في إعداد الطلاب ، وتعليمهم وتربيتهم ، ولا يتغافلوا عن وظائفهم ومسئولياتهم ، وكان عهده في رئاسة ندوة العلماء عهداً زاهراً ، بدأت رئاسته لندوة العلماء بعد إمامنا العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وكان على طرازه ، لا يأخذ من الرواتب المادية شيئاً ، غير أنه وقف حياته كلها لندوة العلماء وأعمالها ، وكان يزهد في حطام الدنيا ، وكان مثالاً للسلف الصالح ، وكان يقضي حياة نموذجية بسيطة حتى جاءه الأجل المحتوم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وحينما انتشر نعي وفاته سارع الناس إلى رحاب ندوة العلماء ، وقررت صلاة الجنازة عليه بعد صلاة التراويح ، فجاء محبوه وتلامذته وعامة الناس للحضور في صلاة الجنازة ، وتم أداء صلاة الجنازة في الساعة العاشرة والنصف ليلاً بإمامة كاتب هذه السطور ، ثم نُقل جثمانه إلى زاوية الشيخ علم الله الحسني وصُليت عليه صلاة الجنازة الأخرى صباحاً في الساعة الثامنة ، ثم وري جسده في القبر : على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذه بعض انطباعاتي حول أستاذنا وفقيدنا ، وتعلن أسرة المجلة أن عدداً ممتازاً للمجلة حول أعمال وإنجازات الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي سيصدر بإذن الله في مدة قريبة ، وقد صدق الشاعر :

هيهات لا يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

سعيد الأعظمي الندوي
٥/شوال/١٤٤٤هـ
٢٦/أبريل/٢٠٢٣م

أسباب حيرة الشباب وعلاجها*

بقلم : الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وإمام المرسلين والمتقين محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد :

فإني أصارحكم أيها السادة ! أني كنت مستغرباً جداً إذا لم يكن الشباب الإسلامي في حيرة كما تجدونه وتشعرون به ، إن الشجرة لا تلام على ثمرتها ، إن في إمكان البستاني أن لا يغرس شجرة من الشجرات ولكن ليس من المعقول ، وليس من الطبيعي أنه إذا غرس شجرة معينة ، ثم سهر عليها وغذاها ونماها ، وسقاها وأحيا ليالي متوالية ، وقف في وهج الشمس وفي البرد القارس ليحرس منها هذه الشجرة ولتؤتي أكلها بعد حين ، ثم إذا آتت أكلها الطبيعية لامها ونزل عليها غضباً وأنكر منها هذه الشجرة ، هذا شيئ غير معقول وغير طبيعي ، لأن طبيعة الشجرة هي طبيعة الشجرة منذ خلق الله هذا الكون ، ومنذ خلق هذه الشجرة ، فشجرة الزيتون ستعطي ثمر الزيتون وشجرة الرمان ستعطي الرمان ، وهكذا .

إن من أعظم الأسباب في هذه الحيرة التي يعانيها الشباب المسلم بصفة خاصة وشباب العالم عامة ، هو التناقض في التوجيه والإعلام والتربية ، تناقض بين ما ورثوه وبين ما يعيشونه ، وبين ما يلقونه تلقيناً وبين ما يطلبه منهم علماء الدين ، هذا التناقض العجيب الذي سُلط عليهم ومنوا به هو السر في هذه الحيرة ، هذه الحيرة المردية ، هنالك عقائد آمنوا بها كمسلم وُلد في بيت إسلامي في أسرة إسلامية ، ونشأ على كثير من العقائد وتلقاها بوعي أو بغير وعي ، ثم إنه نشأ في بيئة دينية تؤمن بمبادئ الإسلام وقرأ التاريخ الإسلامي – إذا أكرمه الله بذلك وسنحت له هذه الفرصة الكريمة – وكان سعيداً بوجوده في بيئة واعية دينية ، ثم سبق – ومعذرتي إلى اختيار هذه الكلمة ، لأنه لا يزال في سن مبكرة وليس له خيار – إلى دور ثقافة يسمع فيها من أولئك الأساتذة

* محاضرة ألقاها الإمام الندوي في ندوة علمية في عمان في ١٨/٨/١٩٧٣م .

الذين يجلهم ، لأنهم أصحاب اختصاص وأصحاب زعامة في كثير من العلوم ، كل ما ينقض ما أبرمته البيئة ، وكل ما غرسته في قلبه وعقله من التربية الإسلامية ، يسمع ويرى كل ما ينفي كل ذلك ، أو ما يقلل قيمته على الأقل ، فيقع في تناقض عجيب وفي صراع فكري عنيف ، وهذا الصراع الفكري يدوم معه إلى أن يشاء الله ، أو تحدث معجزة ، إنها حقاً في هذه البيئة التي نعيش فيها ، صراع من أدق أنواع الصراع ، ومن أصعب أنواعه ، الصراع بين القوى المتعارضة ، أنه قد يواجه الصراع في ساحة القتال ، ومدة ساعة القتال قصيرة وإن طالت ، ولكن هذا الصراع يعالجه دائماً ، إنه يعالجه في المسجد ، ويعالجه في المدرسة ، ويعالجه في البيت ، ويعالجه فيما بينه وبين نفسه ، هذا الصراع المرير الهائل العمق يتلقى من مؤسسة " الإعلام " ومؤسسة الصحافة بالمعنى العام ، ومن التلفزيون الذي جاء حديثاً ، يسمعون إذاعات وأحاديث وبرامج تقضي على البقية من آثار التربية القديمة ، وتحدث فيهم ثورة فكرية وقلقاً نفسياً ، والصحافة التي هي " صاحبة الجلالة " في نظر كثير من الناس تقدم إليهم في أول النهار الغذاء الفاسد العفن ، والمواد المثيرة المهيجة للعواطف قبل أن يكسر الصفراء على تعيير إخواننا السوريين ، وقبل أن يتلو شيئاً من القرآن ، فأول ما يقع عليه نظرهم صورة عارية لفتاة ، وعناوين مثيرة للغرائز أو مقالات مثيرة للشكوك مزعزعة للإيمان والثقة ، فيتلقون هذا في رغبة ونهامة ، وفي شوق واستجابة ، إنه يقع في أيديهم كتب علمية لها عناوين هائلة ، وأسماء مرعبة صادرة من أناس آمنوا بفضلهم وعبقريتهم ، فيرون ما يشككهم في مصادر الشريعة الإسلامية ، وحتى في مصادر اللغة والأدب الأولى ، ويشككهم في صلاحية هذه الأمة ، وفي خلود الرسالة التي يحملونها ، يشككهم في صلاحية اللغة العربية ، فيتلقون هذا المزيج العجيب ، وهذه الخميرة العجيبة ، من أفكار ومبادئ وإغراءات ومن نظريات علمية ، ويقعون من كل ذلك في حيرة لا تعدلها حيرة ، فخليق بكل هذا أن يوقع الإنسان – وإن كان ناضح الفكرة ، مختمر العقل حصيف الرأي – في حيرة ، فكيف بالشباب الناعم ؟ وكيف لهذه البراعم الناعمة التي لم تفتح بعد ، كيف يرجى منهم أن يقفوا أمام التيارات المتصارعة ؟

إن مثل ذلك أيها الإخوان السادة ! كمثل عجلة أو مركبة ركب فيها فرس في الأمام وركب فيها فرس في الوراء وكلاهما قويان ، فكما أن هذه العجلة من المعقول جداً أن يكون ركابها في حيرة من

أمرهم ، هذا يجرها إلى الأمام ، وهذا يجرها إلى الوراء ، فكذلك الشباب يتأرجحون في أرجوحة يميناً وشمالاً .

إن الأدب الذي لم يزل يواجهنا منذ خمسين سنة على الأقل من العواصم العربية الكبرى ، التي كان لها التوجيه ، وكانت لها الزعامة الفكرية والدينية ، وهذه غرست في قلوب الناشئة وفي قلوب الشباب ، بل في قلوب كثير من الكهول بذوراً من الشك والاضطراب ، تشككوا حتى في وجودهم ، تشككوا في كل ما تواتر واستفاض وأصبح من قبيل البديهيات ، إن هذه الكتب التي أريد من ورائها رزق أو شهرة ، أو زعامة فكرية ، أو هتاف وتصفيق حاد ، إن هذه كلها غرست في قلوب شبابنا الشك والحيرة والتناقض ، فأنا لا أستغرب هذا الوضع ، وهذا هو السبب الرئيسي والسر في حيرة الشباب .

ورداً على سؤال وجهه الأستاذ عن العلاج الصحيح لهذه الحيرة التي يقع فيها الشباب صرح سماحته : " إنني أعتقد أن أول خطوة نخطوها نحو إنقاذ الشباب من هذه الحيرة المردية هي توحيد نظام التعليم ، ولستم في حاجة إلى شرح هذه النقطة ، فإن المعسكر التعليمي موزع قسمين : المعسكر الديني ، والمعسكر اللاديني أو العلماني ، أو المعسكر القديم ، والمعسكر الجديد ، وهذه الثنوية أو الازدواجية في التعليم هو السبب الأكبر في خلق هذه الحيرة التي يعيشها الشباب ، فأول خطوة نخطوها إلى الغاية الصحيحة لإزالة هذه الحيرة ، هو تنسيق غايات التعليم ومواد التعليم ، فهنالك كما قلت تناقض في المواد الدراسية فالذي يبنيه تعليم يهدمه تعليم آخر ، فكذلك العلوم التي لم تكن لها صلة بالعقائد هي كذلك لها اتصال بالعقائد وما أصبح التعليم مجرداً أن اعتقاد أن من التعليم ما هو محايد وما هو نزيه كل النزاهة ، وما هو بعيد كل البعد عن التأثير في العقيدة قد أصبحت نظرية قديمة ولا نصيب لها من الصحة ، فالخطوة الأولى الخطوة الثورية الجذرية هي إحداث تنسيق في نظام التعليم ، فلا قديم ولا جديد ، ولا ديني بالمعنى اللاهوتي ، وبالمعنى الكهنوتي المسيحي الأوربي ، ولا بالمعنى الإسلامي الصحيح ، فلا تعليم لاهوتي ولا تعليم دنيوي أو زمني أو علماني ، بل التعليم وحدة لا تتجزأ ، إنما ينقسم بين غايات ووسائل ، ولا بد أن تكون بين هذه الوسائل وحدة تربطها وتخضعها للغاية الأساسية .

ثم إزالة النفاق يعني : هذا التناقض الذي يعبر عنه لسان الشريعة ، ولسان القرآن بكلمة : " النفاق " لا أعنى بالتنسيق التنسيق بين تعليم قطر

وبين تعليم قطر آخر ، إنما أعني به التنسيق في تعليم القطر ، إن هذا يحتاج إلى قلب نظام التعليم رأساً على عقب ، يعني إحداث نظام تعليمي كوحدة متكاملة متناسقة ، وهذا يحتاج إلى ثورة عارمة ، إلى ثورة جريئة ودقيقة وشاملة ، ويحتاج طبعاً إلى أناس عندهم الأصالة الفكرية ، لا يعيشون متطفلين على مائدة الغرب ، إنه يحتاج إلى الاجتهاد في المواد الدراسية ، وهذا يحتاج طبعاً إلى مشاريع عملاقة ، وإلى جهود كبيرة واسعة النطاق عميقة الجذور ، وتحتاج كذلك إلى أن تتبناها الحكومات الإسلامية والمجامع الإسلامية الكبيرة ، فإذا نجحنا في تطوير نظام التعليم تطويراً جديداً ، وإذا نجحنا في إزالة النفاق عن هذا المجتمع الذي نعيش فيه إذاً من المؤمل أن ننقذ الشباب من هذه الحيرة المردية .

ثم الإخلاص والعزم الصادق والتضحية التي لا غنى عنها ، هذه كلها عوامل لوجود بيئة مناسبة أو الأجواء المناسبة لنمو الشخصية الإسلامية وإكمالها ووصولها إلى الغاية المطلوبة ، وهذه الغاية لا تتحقق إلا إذ مثل الشباب دورهم كشباب مسلم في هذا المعترك الفكري الذي لم يشاهد تاريخ الإنسانية معتركاً فكرياً مثله ، إن الشباب طبقاتٍ وأقسامٍ كثيرة ، وليس هناك طرازٍ واحد من الشباب ، إننا شاهدنا عدداً كبيراً من الشباب يتلهفون شوقاً إلى أن يلعبوا دورهم ، وهم في استعداد تام وعندهم التألم الشديد مما واقع حولهم ، إن هؤلاء الشباب هم أمل اليوم وجيل المستقبل ، وفي الحقيقة إن الشباب هم الذين يستطيعون أن يحولوا هذا التيار ، وعندي من المعلومات ما تؤكد لي أن في الشباب مجالاً واسعاً للعمل الإسلامي والفكر الإسلامي ، وعندهم قلق والقلق أول خطوات النمو والتقدم والتحسن ، فإن الشباب قلقون اليوم وإن الحضارة الغربية قد عجزت عن تسليتهم وإرضائهم ، وإن هناك فراغاً لم يملأ ولا يمكن أن يملأ ، كما تفضل الأستاذ كامل الشريف ، إن هنالك ديناً واحداً يستطيع أن يملأ الفراغ الهائل الذي أحدثته أوربا بين القلب والروح والجسم والمادة ، وهذا من خصائص الحضارة الغربية التي لها تجارب خاصة ومراحل معينة مرت في رحلتها الطويلة ، ولكن – مع الأسف الشديد ومن سوء حظ الإنسانية – لما آلت القيادة إلى أوربا أثرت هذه التجارب في تفكير الأمم التي كانت في عزلة عن هذه التجارب ، تجارب مجتمع خاص كانت لدينه طبيعة خاصة ، وقد حدث فيه صراع بين الكنيسة والحكم وصراع بين تعليم الدين ، وصراع بين الكهنوت والعقل السليم والعلم الحديث ، هذا كله من تجارب الغرب وكان الشرق

غنياً عن هذه التجارب ، لم يكن منها في عير ولا نفير ، ولكن فرض الغرب وفرضت الثقافة الغربية هذه التجارب وانطباعات هذه التجارب ، ومردود هذه التجارب ، وقيمة هذه التجارب ، فنظرية " الدين قضية شخصية " و " الفصل بين الدين والسياسة " هذه كلها تجارب الأمم الأوربية لظروف خاصة ، وأجواء خاصة ، وللطبيعة المسيحية التي دانت بها أوربا ، ولكنها قد أشركت فيها الشعوب الشرقية من غير سبب ومن غير مبرر ، فهذا الفراغ موجود في الشباب ، والشباب بدؤوا يشعرون بهذا الفراغ ، إن ما نشاهده من انحرافات وشذوذ ومن مبالغات ومن تطرف في حياة الشباب ، كل ذلك شعور لهذا الفراغ . وإني أستطيع أن أقول في ضوء تجاربي ومشاهداتي في الشرق وفي آسيا : إن الشباب فيهم قابلية واستعداد كبير ليكونوا قادة حركة جديدة ، وليخوضوا هذه المعركة .

ولكننا نعيش في عزلة عن الشباب وعندنا كثير من سوء تفاهم ، ومن إساءة ظن ومن جهل للوضع الذي يعيش فيه الشباب ، فإذا ملئت هذه الفجوة بين الكهول والشباب ، وبين الدعاة إلى الدين وبين الشباب الجامعيين والشباب المثقفين بالثقافة الغربية ، يمكن أن نجر عدداً كبيراً ونجعلهم مقتنعين مستجيبين لهذه الدعوة متحمسين لها ، ولكن ذلك يحتاج إلى مخططات دقيقة عميقة ، مخططات علمية مدروسة ، يحتاج ذلك إلى مكتبة جديدة ، يحتاج ذلك إلى أسلوب جديد في الحديث مع الشباب ، يحتاج ذلك إلى الحكمة التي أشار إليها القرآن بقوله: (ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) يحتاج ذلك إلى أن تكون عندنا أقلام قوية بليغة ، وأن تكون عندنا تلك المقدرة البيانية والطلاوة الأدبية وحلاوة التعبير التي لا يمكن لدعوة أن تشق طريقها إلى الأمام وأن تنفذ في عقول الشباب وفي نفوسهم عن غير هذا الطريق .

إننا نرى – مع الأسف الشديد – أن كثيراً من علمائنا الأفاضل يعتبرون التضلع من آداب اللغة ، والحصول على تلك المقدرة البيانية ، والأسلوب البليغ الذي يدخل إلى قرارة النفوس ، من فضول واجبات العلماء وعلى هامشها ، وقد يعتبرون ذلك ابتعاداً عن وظيفتهم وانحرافاً عن جادتهم ، مع أننا نرى أن القرآن نوه بهذه الحقيقة ، وكلنا نؤمن أن الله سبحانه وتعالى هو أغنى الأغنياء ، ولكنه أنزل كتابه في أسلوب معجز ، وفي لسان عربي مبين ولم ينزل في لسان عربي مبين فحسب ، بل نوه بهذه الناحية في غير موضع من مواضع القرآن ، فقال : (نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) (إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ

تَعْقِلُونَ) فمعنى ذلك أن ناحية اللفظ وناحية الأسلوب وناحية البلاغة ناحية مهَمة . وإذا رجعنا إلى تاريخ الإصلاح والتجديد رأينا أن الذين كانوا على قمة الإخلاص وعلى ذروة الانقطاع إلى الله وإلى الربانية الصادقة كانوا لا يستهينون بهذه الناحية ، وإنما كانوا يهتمون بها كل الاهتمام ، ولا نضرب المثل بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم في هذه المناسبة لأنه صلى الله عليه وسلم أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء من غير شك ، وهذا معروف عند الجميع ، ولكني أضرب المثل بسيدنا علي بن أبي طالب ، إنه كان في قمة من البلاغة ، ونواصل سيرنا إلى آخر القرون الإسلامية ، فنرى أن من تبوأ القيادة أو الزعامة في الدعوة الإسلامية كانوا على جانب عظيم من البلاغة ومن فهم نفسية المخاطبين ، إنني في الحقيقة أوخذ بالحيرة ، إذا قرأت خطب سيدنا عبد القادر الكيلاني ، فأنا أرى أن هذا الرجل الذي اشتهر في العالم كله ، وفي جميع العصور بزهده وبقناعته وبربانيته ، وبإشراقه وتبتله ، إنه يخاطب الجيل المعاصر والمجتمع الذي كان يعيش فيه في بغداد ، البلد الذي وُلد فيه الحريري ووُلد فيه ابن الجوزي ، ووُلد فيه الصابي ، ووُلد فيه هؤلاء الشعراء ، وتغنى فيه البحتري ، والشريف الرضي ، والمتنبي ، وأبو تمام ، والمعري .

كانت بغداد عاصمة عالم الإسلام ومركز الخلافة العباسية ، كانت محطة كل عبقري من جميع الأصناف ، فسيدنا عبد القادر الكيلاني نراه يخاطب الجيل المعاصر في بغداد بلسان يحلق في البلاغة ، ويخاطبهم بأسلوب ساحر ، بأسلوب يبلغ إلى الأعماق، بأسلوب لا تزال له الصولة إلى الآن ، وإذا قرأنا خطبه التي دونها المدونون وحرصوا على نقل اللفظ الصحيح لاعتقادهم أن ما يصدر من القلب يدخل في القلب ، وهذا كان من دواعي الحرص على نقل الكلام بالحرف .

وهذا يعطينا الفكرة عن أهمية الأدب والأسلوب ، إننا إذا أردنا أن نوجه الشباب التوجيه الإسلامي العميق ، فعلينا أن نتسلح بذلك ، أن نعد له عدته ، وأن نستوفي تلك الشروط التي كانت لكل زمان ومكان ، وهي لا تزال لها قيمتها وأهميتها وتأثيرها ، وهو إحداث مكتبة إسلامية علمية تلائم عقلية الشباب وتؤثر فيها ، ويتقبلها الشباب بقبول حسن ، بل يتشوقون إليها ويمدون إليها يدهم ، فإذا وفينا هذه الشروط فإني واثق بأن الشباب مستعدون ليكونوا ، لا مؤمنين بهذه الفكرة فحسب ، بل دعاة متحمسين لهذه الفكرة والدعوة ، متفانين فيها ، متهالكين عليها ، لا يعدلون بها شيئاً .

قصة أصحاب الكهف وما لها من نتائج وعبر

سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله

تعريب : محمد فرمان الندوي

(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً) (أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَداً) (الكهف : ٩ و ٢٦).

الرقيم هو الموضع الذي كان فيه غار أصحاب الكهف ، وكان عددهم قليلاً ، يحكم زمنهم الكفار والوثنيون ، وكان ملكهم جباراً وطاغياً ، يجبر الناس على الوثنية ، لكن أصحاب الكهف آمنوا بعيسى عليه السلام ، وعملوا بشريعته ، فواجهوا مشاكل وصعوبات بإيمانهم ، وأُجبروا على عبادة الأصنام ، وإلا يعاقبوا ، فلجأوا بدينهم إلى جبل ، كان فيه غار شبه غرفة ، ولم يكن هناك عمران ، ولا يخشى إتيان أحد إليه ، فاستتر هؤلاء في هذا الغار ، احتفاظاً بدينهم وعقيدتهم ، فأحب الله عملهم هذا ، فسلَّط عليهم النوم عميقاً ، ناموا فيه إلى ثلاث مأة سنة ، فلما استيقظوا من نومهم ولم يعرفوا كم مدة ناموا في هذا الغار ، إلا أنهم كانوا يشعرون بأنهم ناموا طويلاً ، فلما استيقظوا شعروا بالجوع ، فتحاروا بينهم عن الطعام بأن يذهب واحد منهم خفيةً إلى المدينة لاشتراء الطعام ، ولا يطلع عليه أحد ، ولا يجبرهم على ترك دينهم ، لكنهم لما خرجوا من غارهم عرفوا أن الحكومة قد تبدلت ، واعتنق الملك الجديد المسيحية ، فرحب أهل المدينة بهم ، وقالوا : هؤلاء هم الذين تركوا ديارهم لمجرد احتفاظ دينهم وعقيدتهم ، فنالوا شهرةً وصيتاً حسناً .

يخبر نا الله تعالى من قصة أصحاب الكهف بأنه قادر على تبديل نظام عام ، يمكن أن يحيى إنسان على أكثر تقدير إلى قرن أو ربع قرن ، لكن أصحاب الكهف ظلوا أحياءً طوال ثلاثة قرون ، ولم تتأثر أجسامهم بضعف أو انهيار ، ولم يأكلوا خلال هذه الأيام شيئاً ، فلم يموتوا ، وإذا ما أكل الإنسان أياماً مات حتف أنفه ، كأن الله أخبرنا بهذه القصة أن ما تنظرون في الظاهر ، وتظنونه كل شيئ ليس بشيئ ، بل يكون وراءه أمر الله عز وجل .

من هم أصحاب الكهف ؟

أصحاب الكهف فتية آمنوا بربهم ، وكان إيمانهم أقوى ، بحيث ضحَّوا في سبيله كل غال ورخيص ، ولم يتنازلوا عن إيمانهم شيئاً ، وكانت البيئة التي يعيشون فيها مشركة ، فتشاوروا بينهم ، وقالوا : إن سكان بلدنا يعبدون أشياء تخالف عقيدتنا ، ونحن لا نشرك في عبادة الله أحداً غيره ، فيمكن أن يجبرونا على عبادتهم ، فلا نبقى على إيماننا ، وكانت الحكومة آنذاك مشركة ، وكان من أوامرها الملكية أن تكون ديانة واحدة لجميع المواطنين ، فقرروا أن يلجأوا إلى غار ، ويختفوا فيه ، وإذا ذهبوا إلى بلد أو قرية اطلع رجال الحكومة عليهم ، وعاقبوهم عقاباً شديداً ، فذهبوا إلى مكان قفر ، ليس به أنيس ولا جليس ، وقالوا : (رَبَّنَآ آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) .

نظام باطن لصيانة أصحاب الكهف :

جعل الله لأصحاب الكهف نظاماً غيبياً خاصاً ، فسبب إيمانهم تنزل رحمة الله عليهم ، وجعل الشمس إذا طلعت تزاور عن الكهف ذات اليمين ، فلا تقع أشعتها وحرارتها عليهم ، بل تتنحى قليلاً إلى اليمين ، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ، وكانوا على غلوة منها ، رغم أن طلوع الشمس وغروبها كان نافعاً لهم ، لأن الله تعالى جعل أشعة الشمس سبباً من أسباب الحياة الإنسانية ، فإن أشعة الشمس حينما تقع على الأرض يتكون منها طقس في الفضاء ، يصلح للحياة الإنسانية ، وينفعها ، وإذا كان الإنسان محروماً من حرارة الشمس ولا يستفيد من نورها أدى ذلك إلى الإضرار بجسمه ، فالشمس إحدى الأسباب النافعة للجسم ، ولا تزال تصل إلى أصحاب الكهف في الغار حرارة الشمس ما قدر الله تعالى لهم ، لكن هذه الحرارة لا تضرهم ، ولا تؤذيهم ، فأعقبه الله : ذلك من آيات الله ، فجعلها الله مفيدة ، ولا تكون حرارة الشمس في عامة الأحوال أكثر فائدة .

أساس الهداية والضلال :

قال الله تعالى : من يهده الله هو المهتد ، ومن يضلل فلن تجده له ولياً مرشداً ، لا ينبغي لأحد وإن كان ولياً أن يدعي أن كل ما وجده من توفيق وخير من كد يمينه ، بل يعتبره فضل الله ورحمته ، فليست الهداية احتكار إنسان وحقه ، بل هي عطاء الله ونعمته ، وذكر الله بعد الهداية الضلال : من يضلل الله فلن تجد له ولياً مرشداً ، لا يمكن لولي أن ينقذه

من الضلال ولا لصديق أو ناصح ، أو قريب ، وليس له دليل يدله على خير أو حسنة ، وكلمة " ولي " تحمل معاني عديدة : ذو الرحم ، وابن العم ، والصديق أو الخليل .

وإن ضلال إنسان لا يكون بدون سبب ، بل يكون بسوء أعماله وتصرفاته ، قال تعالى : (وَمَآ أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ) (الشورى : ٣٠) ، فعلم منه أن المصيبة التي تصيب الإنسان وتلحق به هي بأعمال إنسان وفساده ، فإذا رأى الله تعالى أن الإنسان أصبح متمرداً ، يعادي الحق علناً وجهاراً ، فيقضي بنزول المصيبة عليه ، رغم أن الله أمهله ، وذكره تذكيراً ، فاستمر هذا الإنسان في غوايته ، وتمرغ في ضلاله فأنزل الله عليه العذاب .

عاقبة الكبر :

إذا استعرضنا الحياة الإنسانية رأينا أن إنساناً لا يقبل في كثير من المناسبات أمراً ، لمجرد أنه ينهزم ، ويصاب بالفشل ، ويخيل إليه أنه لا يعرف الواقع ، فتفادياً من هذا الأمر يعادي الإنسان الحقيقة ، ويبرر لتكذيبها دلائل وشواهد ، تثبت دعواها ، رغم أنه يعتقد أن على خطأ ، هذا الموقف الذي يظهر من الإنسان يمقته الله ، وإذا أصر إنسان على الضلال فأمهله الله تعالى ، حتى يتورط في الغواية والضلال ، ويغرق فيها ما شاء أن يغرق ، فسيجد عاقبة كبره وخيلائه ، ثم تأتي هذه المرحلة : ومن يضلل الله فلا هادي له .

جائزة على العزيمة الصادقة :

أخبر الله تعالى عن أصحاب الكهف بأنهم ثبتوا ثبات الجبال الراسيات ، وبذلوا كل ما عندهم لصيانة دينهم وعقيدتهم فجعل الله لهم منعة وقوة ، اعتبرت معجزة ، وهيأ لهم من الأسباب التي لا تتسير في عامة الأحوال ، فإن أصحاب الكهف قدموا أنفسهم لكل تضحية ، واختفوا عن الناس والمجتمع في مكان لا يصل إليه بلغة عيش ، ولا شربة ماء ، لكن هؤلاء واجهوا كل ذلك لمجرد إيمانهم وعقيدتهم ، ورضوا بالموت في سبيل الله ، ولم يتنازلوا عن إيمانهم قيد شعرة ، فأكرمهم الله بنعم كثيرة خارقة للعادة .

نوم العافية :

سلط الله على أصحاب الكهف نوم العافية ، فلو كانوا يقظين لأفزعهم خوف الناس وبطشهم ، وكانوا خائفين أن لا يصل إليهم أحد ،

وقد شغل ذلك بالهم ، فجعل الله لهم نظام النوم ، بحيث ناموا نوماً طويلاً إلى أن تأتي حكومة أخرى ، وتؤسس دولة إسلامية ، وينتهي دور الظلم والاعتداء على أحد ، ويحكم هناك رجال ثقات ، وقد استغرق ذلك ثلاث مأة سنة ، ثم حدثت ثورة ، ووصل المؤمنون إلى سدة الحكم ، فأيقظ الله عز وجل أصحاب الكهف .

نام أصحاب الكهف طويلاً لكنهم كانوا أصحاء ، وجعل الله لهم نظاماً غيبياً تحصل منه متطلبات البدن ، رغم أن حاجيات الجسم الظاهرة لا تصل إليهم ، فلا شك أن هذا كان فضلاً من الله ورحمة ، وقد قال الله تعالى : وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ ، وكانوا يتقلبون يميناً وشمالاً ، لأن الجسم إذا استقر بمكان لحق به ضرر وفساد .

كلب أصحاب الكهف :

وهناك نظام آخر من الله تعالى لصيانة أصحاب الكهف ، وهو أن كلبهم الذي كان معهم ظل باسطاً ذراعيه بالوصيد ، وجلس كالحارس على فم الغار ، وكان الكلب نائماً ، لكن لا يرى نائماً ، وقد جلس أمام الغار في صورة لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ، ولملئت منهم رعباً ، والواقع أن رجلاً إذا رأى هذا المنظر من مسافة لا يدخل الغار ، بل يظن أن هناك كلباً يسكن ، فلا حاجة إلى الذهاب إليه ، وحكمة أخرى لجلوس الكلب هناك أن هذا الموضع لم يكن ذا عمران ، ويمكن أن يأتي هنا صائد ضل الطريق ، أو رجل مسافر ، ودخل الغار ، ثم إذا رأى أصحاب الكهف نائمين حاول لإيقاظهم ، فأجلس الله تعالى الكلب على فم الغار ، لئلا يأتي إليه أحد ، وإذا وصل فجاءة إليه ظن أن هذا الموضع مسكن للكلاب ، فكيف يكون هنا ابن آدم ؟ وقد استعمل الله بهذه المناسبة تعبيراً جميلاً : وهو أن كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد يحدق النظر إلى الواردين لئلا يهجموا عليهم ، لو اطلعت عليهم لوجدت منهم فراراً ، ولملئت منهم رعباً .

تخوفات أصحاب الكهف :

تأسست حكومة إسلامية في مناطق أصحاب الكهف التي خرجوا منها فراراً بدينهم ، وقد استيقظوا من نومهم ، فبدوأ يتحاورون بينهم ، ويتساءلون : كم لبثنا هنا في الغار ، وقد شعروا بأنهم قد ناموا طويلاً ، فخيل إليهم وقالوا : نمنا يوماً أو بعض يوم ، ثم قالوا : لا يمكن أن نحكم بأنفسنا ، والله أعلم بنا كم لبثنا ، فلنترك هذا الموضوع ،

ولنتفكر في طعامنا وشرابنا ، لأننا نشعر بالجوع الشديد ، فأخرجوا ورقاً من عندهم ، ثم أعطوا واحداً منهم ، وقالوا : فلينظر أزكى طعاماً ، فليأتنا برزق منه ، ولكن لا بد من مراعاة أمرين : أولاً : لا يشعر أحد بوجودنا ، لأنه إذا ظهر علينا وانكشف سرنا رجمنا القوم ، أو أعادونا في ملتهم ، وإذا انحرفنا عن دين الله ضللنا ضلالاً بعيداً ، ولن نفلح إذاً أبداً .

استعمل للنقود في الآية كلمة الورق ، وكان الورق عامة مصنوعاً من الورق ، وأحياناً من الذهب ، وكان ورق الفضة رخيصاً ، وورق الذهب غالياً ، فكان المراد من الورق هنا ورق الفضة .

لماذا ذكرت قصة أصحاب الكهف ؟

ذكر الله قصة أصحاب الكهف بغاية من التفصيل ليعرف الناس أن وعد الله حق ، وأن الساعة لا ريب فيها ، فكل ما عمل الإنسان من عمل وجد جزاءه في الآخرة ، فلا حاجة فيه إلى شك ، لأن وعده حق ، والحق باللغة العربية هو ما وافق الواقع ، فكأن الله أنشأ بهذه القصة عقيدة ثابتة في قلوبنا أننا سنحاسب أمام الله تعالى بعد الموت ، ليرسخ في أذهان الله فكرة الآخرة مع اليقين بالأعمال ، واستعملت لليقين الراسخ هنا كلمة : ليعلموا ، فكل من رأى مناظر أصحاب الكهف اعترف بكل صراحة : أن الله فعال لما يريد ، فإذا كان الله قد صان أبدانهم إلى مدة ثلاث مأة سنة ، فهو قادر على أن يفعل ما يشاء ، فلا نشك أبداً ما يقول الله عن الآخرة .

ردود عمل لأهل القرية :

مات أصحاب الكهف فطرياً بعد ثلاث مأة سنة ، فلما تم دفنهم تنازع الناس فيما بينهم ، ما هو موقفنا نحوهم ؟ وكان أصحاب الكهف مسنين ذوي أعمار طويلة ، فقال قائل : نحن نتخذ عليهم مسجداً ، وقال بعض : نحن نبني عليهم مقبرة ، لأن الناس قد تأثروا بهم للغاية ، وحينما علموا أن الله أنامهم ثلاث مأة سنة ، وكانوا أحياء ، فيتهافت عليهم الناس تهافت الظمان على الماء ، وكان عدد المؤمنين آنذالك كثيراً ، وأصبحوا في عدد هائل فكانوا يقولون : نحن نبني عليهم مبنىً أو مقبرة ، قال تعالى : ربهم أعلم بهم ، لكن الذين كانوا أقوياء ، إما كانوا من أصحاب الحكومة وإما أذكياء الناس قالوا : نبني عليهم مسجداً ، ويمكن أن هذا المسجد قد بني ، لأن الآثار التي توجد في هذه المنطقة ، تدل دلالة واضحة على وجود المسجد هنا . (للحديث صلة)

صفات الحديد في القرآن الكريم

الأستاذ أحمد أديب محمود عبيدات *

خلق الله تعالى الإنسان على الفطرة وأعطاه من العقل والقدرة على الأخذ بالأسباب ما لم يعطه لمخلوق آخر ، وشرع له المنطق ، وهو قانون لا يحيد عنه إلا جاهل ، ومن هذه الأسباب كتب سماوية أنزلها الله تعالى على الرسل عليهم السلام وأقرها العلم ، ومن هذه الكتب القرآن الكريم الذي نزل على سيدنا محمد عليه السلام ، ولم – ولن – يعرف حتى الآن بالتحريف والحمد لله أو النقصان ، وذلك بشهادة ألد الأعداء ، بل اتصف بالقدرة على مجاراة مختلف العصور والأزمان .

من صفات القرآن الشمول ، فكان للمعادن نصيب في هذا الشمول وخاصةً منها الحديد الذي ميَّزه القرآن بذكر بعض الصفات رأينا بتجميعها للفائدة .

(١) المقدمة :

ميّز الله تعالى القرآن الكريم بصفة الشمولية ، فالقرآن الكريم لم يقتصر على الناحية التعبدية لإنسان ، بل تعدى ذلك ليشمل جوانبه الحياتية جميعها من النظافة الشخصية والمحافظة على البيئة إلى تسيير أمور الدول والجماعات وبناء الاقتصاد ، ومما شمل القرآن الكريم العلوم الحياتية الكيمياء والفيزياء . . . ، ومن هذه العلوم خصائص بعض المعادن المعروفة في أيامنا هذه ، فلا يستغرب ذكر بعض هذه المعادن في القرآن الكريم ، ومنها الذهب فقد ذكر الله تعالى الذهب في القرآن الكريم ، ووضح القدرة على تعدينه وتحويله إلى أشكال مختلفة للزينة ، وذلك في سورة الكهف آية (٣١) ، وذلك بقوله تعالى : (أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقَ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا) ، ومن المعادن الأخرى المذكورة في القرآن الكريم معدن الحديد وهو موضوع دراستنا في الصفحات القادمة بمشيئة الله تعالى والتي عملنا فيها على دراسة

* معلم في وزارة التربية والتعليم الأردنية – الأردن . ah_paper_2017@yahoo.com

صفات هذا المعدن ومنافعه المذكورة في القرآن الكريم من خلال الرجوع إلى بعض التفاسير وموافقتها مع ما ورد في العلم من هذه الصفات .

(٢) الحديد في القرآن الكريم :

ذكر الله تعالى معدن الحديد في ست سور من سور القرآن الكريم : الإسراء ، الكهف ، الحج ، سبأ ، ق ، والحديد . وميزه بتسمية سورة كاملة باسمه ؛ وذلك بسبب ذكر هذا المعدن بشكل صريح وذلك لتبيان منافعه للناس ، وذلك في قوله تعالى : (وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) ، والحديد لغةً هو معدن رمادي إلى زرقة يتخذ في الصناعة [١] ، وفيما يأتي بيان لبعض صفات الحديد المذكورة في القرآن الكريم .

الصفة الأولى : الصلابة :

والصلابة في معجم المعاني الجامع صفة الجسم الذي يحتفظ بشكله وحجمه ، وهي أداة تستعمل لتحديد الصلابة النسبية لمادة ما بقياس الضغط اللازم لاختراقها [٢] ، وعند وصف العرب لشدة شيئ ما تقول : إنه صلب كالحديد ، وأشار الله تعالى لصلابة الحديد في سورة الكهف (الآية : ٩٦) بقوله تعالى : (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) ، وعند الطبري زُبَر ، وقوله تعالى : (انْفُخُوا) الحديد ، الحديد جمع زُبْرة ، والزُّبْرة : القطعة من يقول عزّ ذكره ، قال للفعلة : انفخوا النار على هذه الزبر من الحديد [٣] ، ومعنى الكلام هنا أن قطع الحديد هذه تحتاج للنار لإذابتها ، وذلك في إشارة لشدة صلابة الحديد وعدم القدرة على تغير شكلة إلا باستخدام نار ذات حرارة عالية جداً ، وكما هو معروف في عصرنا الحالي فإن الحديد لا يحتاج لحرارة عالية فقط ، بل يحتاج لآلات عملاقة للتعامل مع صلابته التي أوصلت العالم لإنشاء أبنية ضد الزلازل ، ووردت صفة الصلابة للحديد في القرآن الكريم في مكان آخر وهي الآية الخمسون من سورة الإسراء ، وذلك بقوله تعالى : (قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا) وتشبيهه بالحجارة هنا إشارة واضحة لصلابة الحديد ، ولكن بشكل

---

[١] جبران مسعود ، معجم الرائد .

[٢] https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

[٣] http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura18-aya96.html

آخر وفي هذا التنوع للوصف دلالةً على نعمة القرآن الكريم وفصاحته التي تنسجم مع بسطاء الناس قبل علمائهم فبذكر الحجارة تقريب لصفات الحديد ومنافعة بما يتناسب مع بسطاء الناس ، ولازم القرآن الكريم بين الشدة ومنافع الناس في الآية الخامسة والعشرين من سورة الحديد ، وذلك بقوله تعالى : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) ، وظاهر الآية الكريمة أن الله تعالى أنزل البأس الشديد في الحديد دلالةً على القوة العظيمة لهذا المعدن والمتمثلة بصلابته الشديدة وأن في هذا المعدن وصلابته منافع للناس ، وذلك في توجيه منه عز وجل للخلق للالتفاف والتفكير في هذا المعدن وفوائده .

الصفة الثانية : المرونة :

صفة الصلابة المذكورة سابقاً للحديد لا تخفى على أحد أو قد تكون من المسلّمات في العلم ، ولكن عند ذكر كلمة المرونة ، فإن للمرونة معنى واسعاً ، وليس من السهل أن يكون الشيئ الصلب قادراً على أن يحوي هذه الصفة كما هو في معدن الحديد ، ومرونته تكمن في أنه قابل للتعديل والسحب والتكوين بأشكال مختلفة وما حديد سقف البيت إلا مثال على مرونة الحديد من حيث السحب ، واكتفى القرآن الكريم بالإشارة إلى هذه الصفة وعدم ذكرها صريحة ، وذلك في قوله الله تعالى في سورة الحج في الآية الحادية والعشرين : (وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ) وعند البغوي فإن المقامع " سياط من حديد واحدتها مقمعة قال الليث : المقمعة شبه الجرز من الحديد " [1] ، والسياط هو تغير في شكل الحديد مما يدل على المرونة العالية في هذا المعدن ، وذلك لما يحتاجه السياط من رقة ودقة في الصنع ، وجاءت الآية العاشرة في سورة سبأ لتؤكد هذه الصفة وذلك في قوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ) ، ومعنى ألنا له الحديد عند الطبري أن الحديد كان في يده – أي سيدنا داود – كالطين المبلول يصرفه في يده كيف يشاء [2] ، والتشبيه هنا باللين إشارة واضحة للمرونة العالية التي

[1] https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer-saadi-baghawy/sura22-aya21.html#baghawy

[2] https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura34-aya10.html

يتمتع بها معدن الحديد مما جعل مفسر الآية الكريمة بالتشبيه بالطين المبلول وما تجويف ماسورة المياه المصنوعة من الحديد إلا دليل واضح على هذه المرونة .

الصفة الثالثة : الحدة :

الحدة أحد صفات المعادن المشهورة فنجدها في معدن الفولاذ مثلاً وهي صفة دالة على الدقة فنقول : سكينة حادة أي أنها تتصف بسرعة القطع وكذلك استواء مكان القطع أي أنه لا يحوي عوج أو تقل فيه نسبة العوج ، وهذه الصفة موجودة في معدن الحديد ، وذكرها القرآن الكريم في سورة ق (الآية الثانية والعشرين) وذلك في قوله تعالى : (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) ، قال ابن قتيبة : الحَديد بمعنًى الحاد . أي فأنت ثاقب البصر [1] ، وهناَ تصريح من الله تعالى بوصف الحديد أنه أحد المعادن الحادة .

(٣) الخاتمة :

جمع القرآن الكريم لهذه الصفات ، ولو قل عددها إشارة واضحة من الله تعالى لهذا المعدن وأهميته وعدم التهاون في البحث عن منافع أخرى غير معروفه لهذا المعدن ، فنوعية هذه الصفات تدل على أهميه عالية وضعها الله تعالى في الحديد ، فالاقتصار على ما وصلنا له من المنافع يعتبر قصوراً بالتفكير ، فالقرآن كما هو معروف صالح لكل زمان ومكان .

المراجع الإلكترونية :

١. https://surahquran.com/116.html
٢. https://www.maajim.com/dictionary

المراجع العربية :

١. البغوي ، الحسين بن مسعود بن محمد ، تفسير البغوي ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، القاهرة ،١٩٩٧م .
٢. الشاوي ، مرتضى عبد النبي علي ، سورة الحديد – دراسة أسلوبية ،مجلة دواة ، المجلد الخامس ، العدد الحادي والعشرون ، ٢٠١٩م .
٣. الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير ، تفسير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٦م .
٤. محب شانه شاز (المترجم) ، حرف المعادن في حلب ، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة .

[1] https://www.islamweb.net/ar/fatwa/26749

المؤامرة الغربية ضد المرأة المسلمة

(الحلقة الأولى)

الأستاذ عبد السلام الرياضي *

الحمد لله الذي خلق الإنسان من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، وشرع لهم من الأحكام ما يلائمهم ذكوراً وأناثاً ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على معلم البشرية جمعاء ، فما من خير للإنسانية إلا ودلّهم عليه ، وما من شر وسوء إلا وحذرهم عنه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فقد تغلغل بعض الانحرافات في المجتمعات المسلمة منذ قرون ، ولكن لم تبلغ صورة الانحراف أوجها إلا في مطلع العصر الحديث حيث عاد المنبهرون بحضارة الغرب والمعجبون بعادات فرنسا وباريس ولندن . . . من السفور والتبرج والإباحية وتعاطي الجنسية دون قيد ، فنشروها بكل حماس وطموح ، فانتشرت دعوتهم في كثير من البلدان الإسلامية كتونس والعراق وبلاد الشام والهند بما فيها باكستان وبنغلاديش وغيرها .

من أكبر الانحرافات وأخطرها على الأمة الإسلامية إفساد المرأة ، لأن في إفسادها إفساد الجيل القادم بكامله ، بل والشعب كاملاً ، ومن ثم أرشدنا نبينا الحكيم صلى الله عليه وسلم إلى تفضيل المرأة المتمسكة المتدينة للنكاح والزيجة ، حيث قال صلى الله عليه وسلم : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : " تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا ، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ ، تَرِبَتْ يَدَاكَ " [1] ، ففي هذا الحديث توجيه نبوي إلى عموم الجدوى للأمة في اختيار المرأة الصالحة ، إذ هي تنجب أولاداً صالحين ، يتكوّن بهم جيل جديد كريم ، وهم نواة أمة صالحة مستنيرة ، وبمثل هذا الإدراك

* الأستاذ المحاضر بقسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية ، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ . وأستاذ الحديث والفقه الإسلامي بجامعة دار المعارف الإسلامية ، شيتاغونغ ، سابقاً .

[1] البخاري . أبو عبد الله محمد بن إسماعيل . صحيح البخاري . الرياض . بيت الأفكار الدولية للنشر . ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، (٧/٧) ، ح ٥٠٩٠ .

والشعور ما أحسن ما قال من قال ، إذ يقول : If you give me a good mother I shall give you a good nation .[1]

فالمرأة الصالحة سر صلاح الجيل ، وتكوُّن الأمة الصالحة ، وهي خير متاع الدنيا كما ورد على لسان الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم ، حيث يقول : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : " إِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا مَتَاعٌ ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ "[2] ، لعل في هذا الحديث خير إشارة إلى أن صلاح الدنيا ، وصلاح الشعب والأمة على صلاح المرأة ؛ حيث إنها خير متاع الدنيا الذي يتم به تطورها وازدهارها .

ويقابل ذلك أن إفساد المرأة تفضي إلى إفساد المجتمع والشعب بأكمله رويداً رويداً . ولعل هذا يستفاد من الحديث النبوي التالي والذي رواه الإمام مسلم وغيره : عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً ، يَجِيئُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، قَالَ ثُمَّ يَجِيئُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ ، قَالَ : فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ : نِعْمَ أَنْتَ " قَالَ الأَعْمَشُ : أُرَاهُ قَالَ : " فَيَلْتَزِمُهُ "[3] .

فأحبهم إلى الشيطان وأقربهم إليه هو من قام بإفساد المرأة بأن فرق بينها وبين زوجها لتفسد دنياها وأخراها ، فهو أدناهم منه منزلة لأنه أعظم وأوسع وأعمق فتنة ، تفضي هذه الفتنة إلى إفساد المجتمع ، بل والشعب الكامل . ففتنة النساء تمثل عند إبليس الهدف الأساسي الذي يسعى هو وجنوده إلى تحقيقها في واقع الناس ، فإفساد المرأة إذاً مهمة جنود الشيطان ، وكما ورد فيما رواه مسلم أيضاً أن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : " إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا ، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ " ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ : " لِيَنْظُرَ كَيْفَ

---

[1] وهو نيبوليَن بونابّرْتْ .

[2] الإمام أحمد بن حنبل ، مسند أحمد ، بهامشه منتخب كنز العمال ، دار الفكر للطباعة ، (٦/١٤٠) ، ح ٦٥٦٨ .

[3] القشيري ، أبو الحسن مسلم بن حجاج النيسابوري ، صحيح مسلم ، الرياض ، بيت الأفكار الدولية للنشر ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، (٧) .

تَعْمَلُونَ " [1] .

وقد أخذ هذا الدرس من اليهود الصهيون ، ثم تمكن منه في هذا العصر شياطين الجن والإنس ، نسأل الله السلامة والعافية .

فإدركاً لهذه الحقيقة الناصعة انطلق أعداء الإسلام ، وسلكوا مسالك شتى لإفساد المرأة المسلمة هدفاً لإفساد الأمة الإسلامية قاطبة ، حتى تكون القيادة والسيادة لهم أنفسهم ، وينضب سعي الباحث لإثبات هذه الحقيقة في هذه المقالة بإذن الله تعالى ، فكان مكر الأعداء وبخاصة اليهود باسم " حقوق المرأة " ، وهذه دعوة برَّاقة في الظاهر ، سامة في الباطن ، انخدعت بها مسلمات متغربات كثيرات أو غسيلات المخوخ من قبل الغرب كما انخدعت مسلمات ساذجات عامة ، والمراد بحقوق المرأة أن تنطلق وراء كل رذيلة وأن تنحل من قيد الشريعة الإسلامية ، ولقد أطلقوا على هذه الدعوة أسامي أخرى خادعة ، ومنها :

(١) تحرير المرأة :

والمراد بتحرير المرأة تحريرها من تعليم الإسلام ، وإخراجها من ثقافته وتقاليده ، والهدف الرئيس من التحرير الانحلال بكل معنى الكلمة .

(٢) النهضة بالمرأة :

ونهضة المرأة تعني أن تلتحق المسلمات بالكافرات الماجنات غربيات كن أو شرقيات .

(٣) تطوير المرأة :

ومعنى تطور المرأة جعلها أن تقبل الفساد والإفساد والانحلال والإباحية في مجالات الحياة كلها أو جلها [2] .

بدْء السفور والتبرج الجاهلي :

ظهرت دعوة السفور والتبرج والانحلال في بلاد المسلمين في عهد الاستعمار ، حتى تم إحراق نقاب شرعي في ميدان " التحرير " في مصر من قبل نساء علمانيات بمظاهرة سيئةٍ ضد الحجاب الشرعي ، كما نشر كتاب " السفور والحجاب " الذي ألَّفتْه نظيرة زين الدين ، وهو أول كتاب في دعوة السفور علما بأن الذي قَرَّظَه هو علي عبد الرزاق ، وهو الذي كان قد حكم بإحراق الأزهر ، وفصْلِ شيخه من مشيخته ، وكما مُزِّقَ

---

[1] صحيح مسلم ، المرجع السابق ، (٤/٢٠٩٨) .

[2] أبو نصر محمد بن عبد الله ، المؤامرة الكبرى على المرأة المسلمة ، (صنعاء : دار الآثار ، ط/ ٢ ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) ، ص ١٩ .

الحجاب في كل من تونس والمغرب الأقصى والجزائر وفلسطين وإريتريا في العهد الاستقلالي ، وانتشر هذا الداء الخطير في أنحاء البلاد الإسلامية ، فبدأت النساء المسلمات في كشف المفاتن من الذراع والصدور والسيقان ، ويَظْهُرْن بالأزياء الغربية كاسيات عاريات كما أخبر به المصطفى صلى الله عليه وسلم : " . . . وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلا يَجِدْنَ رِيحهَا وَإِنَّ رِيحهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا . . . " [1] . واختلطن بالرجال في المدارس والجامعات والمعامل والمصانع ، وامتلأت المحلات والمتاجر بالعاملات والبائعات ، والْتَحَقْنَ بالغربيات العاريات ، قد لا يستطيع أحد أن يميِّز هل هذه البنت فرنسية أم تركية أو إماراتية أو كويتية أو باكستانية أو بنغالية مثلاً ، وكل ذلك باسم حقوق المرأة أو حريتها أو مساواتهن بالرجال أو الحرية الشخصية – دعواتٌ غربية مخدوعٌ بها المسلماتُ الساذجات – [2] .

فبنجاح فكرة تحرير المرأة عَمَّتِ الفوضى الجنسية والأخلاقية معظم أقطار العالم الإسلامي ، وازداد الحال سوءً على سوء في عهد الاستقلال ، فحُورِبَتْ وعوديت أحكام الله تعالى بأيدي أبطال الاستقلال أكثر مما حُورِبَ بأيدي المستعمرين ، يقول الشيخ علي الطنطاوي وهو شاهد عيان بعنوان : " امتهان الفضيلة يوم الاحتفال بالجلاء في سوريا " : " فما الذي كان في ذلك اليوم ؟! كانت دمشق التي عرفناها تستر بالملاءة البنت من سنتها العاشرة شهدت يوم الجلاء بنات السادسة عشرة وما فوقها يمشِيْنَ في العرض بادية أفخاذَهَن ، تهتزُّ نهودُهن في صدورهن ، تكاد تأكلهن النظرات الفاسقة . . . ، وأخِذَتْ صور هذا كله ، ونشرت في الجرائد ، وعُرِضَتْ في السينمات ، فازداد جرأة الناس على نقض عرى الأخلاق ، وشهدت بنتاً جميلةً زُيِّنَتْ بأبهى الحلل ، وألْبِسَتْ لباس عروس ، ورُكِبَتْ السيارة المكشوفة وسط الشباب . . . ، وقالوا : إنها الوحدة العربية ، ولم يدر هؤلاء أن العروبة إنما هي في تقديس الأعراض لا في امتهانها ، وكان في العرض مناظر كثيرة من أمثال هذا ، وقالوا : إنها لوحات حية تعبر عن الفرح والسرور ، وقالوا : إنه يوم النصر ، يجوز فيه

---

[1] القشيري ، مسلم بن حجاج ، صحيح مسلم ، المرجع السابق ، برقم ٢١٢٨ ، ص ٨٨١ .

[2] محمد فارق الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية في النصف الثاني من القرن العشرين ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار المعالي ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م ، ص ٨٨ .

ما لا يجوز في غيره "[1] . فهذا التصوير – تصوير النساء – من الشيخ يمثل أحوال النساء في معظم البلدان المسلمة أو كلها ، نسأل الله السلامة والعافية .

ولعبت وسائل الإعلام من الصحافة والإذاعة والتلفاز والدشوش التي تديرها اليهود دورها الخطير هدفاً لتحطيم ذلك السياج الذي أقامه الإسلام لمحافظة العرض والشرف والمجد والقيم ، فانتشر التَبَرُّجُ الصارخ والأوبئة الغربية في كل بلاد المسلمين تسللاً من الغرب المنهارة فيها .

ولا شك أن هذا الإفساد باسم تحرير المرأة أو حقوق المرأة مما لعبت به أيدي الصهاينة ، وخير شاهد على هذا بروتوكولات حكماء الصهيون ، ففي البروتوكول الأول ، (ص ١١٠) : " كنا قديماً أول من صاح في الناس : الحرية والمساواة والإخاء " ! .

وفي البروتوكولات أيضاً : " إن الكلمات التخريبية شعارنا ، هي : الحرية والمساواة والإخاء " .

ويقول أحد زعماء الماسونية : " يجب أن نكسب المرأة ، ففي أي يوم مدت يدها إلينا فزنا بالحرام ونبذنا المنتصرين بالدين " ![2] .

هذه تغيرات عجيبة غير متوقعة معاكسة في البلدان الإسلامية ، ويتضح ذلك بالمقتطفات المشهود بالأعيان .

نساء المسلمين قبل الاستعمار :

يقول الشيخ علي الطنطاوي : " وكانت النصرانيات واليهوديات من أهل الشام يلبَسْنَ قبل الحرب الأولى الملاءات الساترات كالمسلمات ، وكل ما عندهن أنهن يكشفن الوجوه . . . " .

" وكان السفور بين المسلمات مستغرباً حتى إنه جاءت مرةً وكيلةً لثانوية البنات إلى المدرسة سافرةً ، فأغلقت دمشق كلها حوانيتها ، وخرج أهلوها محتجين متظاهرين حتى روعوا الحكومة ، فأمرتها بالحجاب ، وأوقعت عليها العقاب ، مع أنها لم تكشف إلا وجهها . . . " [3] .

وقال أيضاً : " وكانت نساؤنا كمنازلنا ، يَسْتُرُهن الحجاب السابغ ، فلا يبدو جمالها إلا لمن يحل له النظر إليها ، فهُتِكتِ الأستار

---

[1] الطنطاوي ، الشيخ علي ، ذكريات الطنطاوي ، ج ٥ ، ص ٢٢٥ .

[2] أبو نصر ، محمد بن عبد الله الإمام ، لمؤامرة الكبرى على المرأة المسلمة ، دار الآثار ، صنعاء ، ط ٢ ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ، ص ١٩ .

[3] المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٢٢٦ . والتيارات الفكرية ، المصدر السابق ، ص ٨٩ .

عن المرأة وعن الدار . . . " [1] وكذلك الحال في كل دولة مسلمة .

ماذا جنى تحرير المرأة على المرأة المسلمة ؟

إن النساء في الإسلام - أمّاً أو بنتاً أو أختاً ، مُحْرَمَةً كانت أو أجنبيةً – كنَّ مصونات محفوظات ومُكرَّمات مشرفات ، ثم خرجن عن البيوت ، وتركن الحجاب وراء ظهورهن طلباً للحرية الغربية الخادعة باسم " تحرير المرأة " ، واختلطن مع الرجال في المتاجر والمصانع ، وفي الأسواق والشوارع ، والنوادي والشواطئ ، وفي دوائر الحكومات والمؤسسات ، بل وزدن حتى ساهمن في السينمات والتمثيليات والمسرحيات والرقص والغناء والتي أنشأها المستعمرون تحت اسم المدنية والترفيه وأمثالها ، وأدخلوا جيوشاً أخبث من جيوش المستعمرين من الممثلين والممثلات ، والبغايا والراقصات ، وشجَّعوا على إنشاء المسارح وفِرَق الغناء والتمثيل والمراقص والملاهي المتنوعة كانت الأجنبيات أولاً ثم الوطنيات من غير المسلمات ، فشجع كل ذلك المرأة المسلمة على السفور والتعري والاختلاط الماجن ثم التقليد في كل شيئ من الغناء الفاجر والرقص الكاشف والتمثيل العاري . . . ، كأنهن استبدلن ما وعدهن الشيطان غروراً من الحقوق والحرية والمساواة الموهومة بما رزقهن الله من الحقوق العادلة والمكانة السامية والكرامة العالية .

فنتيجةً عما سبق أن وقعت النساء المسلمات فريسةً لمكيدة يهودية في بلادهن ؛ لأن اليهود أفسدوا المرأة في أوربا الغربية ، وانتقلت تلك العدوى إلى بلاد المسلمين ، وأصبحن أمتعةً ملذَّةً مهانة للعلمانيين والجنسيين الذين يريدون إشباع الغريزة الجنسية بأي طريق كان ، فأصبحت دور البغاء والخمارات المرخصة مفتوحةً في معظم العواصم الإسلامية ، وتجرأ الناس على ارتكاب الموبقات باسم الحرية الشخصية ، فعمت الزنا والربا واللواطة والمسكرات والمخدرات ، وشاعت جريمة القتل والاختطاف والاغتصاب والتشرد ، والانحلال الأسري والضياع وما أشبه ذلك من الجرائم الاجتماعية في العالم الإسلامي التي تضاهي ما تحدث في أوربا وأمريكا ، حتى تتعرض الصبيات اليوم للاختطاف والتحرش من قبل الجنسيين الشهوانيين ، ولا يعزب مثل هذه الحوادث عمن يتصفح الجرائد اليومية ، كأن دنيا الإنسانية أصبحت دنيا البهائم [2] .

---

[1] المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢ .

[2] بكر عبد الله أبو زيد ، حراسة الفضيلة ، الرياض ، دار العاصمة ، ص ٦٨ .

فضاحة الغرب ورذائلها الهائلة :

وكان الغرب وحلفاؤهم من المبشرين والمتغربين والعلمانيين يَتَوَخَّوْن باسم تحرير المرأة ، وحقوق الإنسان ، والمساواة وما إلى ذلك من الدعوات البرّاقة المُجَوَّفةِ النَّيْلَ من الفضائل وحتى من الإنسانية إفساد المجتمع الإسلامي بعد أن انغمس المجتمع الغربي في الرذائل ، وما أدل على ذلك من إحصائياتهم المنشورة في الجرائد والمجلات المتنوعة ، ذكر بعض الإحصائيات أن ٤٠٪ من النساء العاملات في كندا ، و ٧٠٪ في الولايات المتحدة يتعرَّضْن الاعتداء الجنسي [١] ، وأن في أمريكا تسجل في كل ست (٦) دقائق جريمة اغتصاب ، وأن ما لا يقل عن ٤٠٪ من النساء العاملات في إيطاليا ممن أعمارهن ما بين ١٤ إلى ٥٩ هن ضحايا الاغتصاب الجنسي [٢] ، وأن نسبة أولاد الزنا في أمريكا ٣٣٪ وفي الاسكندنافية ٥٠٪ [٣] ، ومن الملائم أن نصور ههنا بعض الصور البهيمية الغربية في بلاد الغرب التي ذاقت ثمار تحرير المرأة وحقوقها والمساواة والحرية .

المجتمع الغربي مجتمع حيواني :

يقول الإمام السيد أبو الحسن الندوي : " إن أوربا اليوم مصابة بالجذام الخلقي ، ولا يزال جسمها يتقطع ويتعفن حتى أصبح الجو كله موبوءاً ، وسبب هذا الجذام هو الإباحة الجنسية نتيجة تحرير المرأة وحقوقها والخلقية التي تسود أوربا اليوم ، وتخطى حدود الحيوانية والبهيمية " [٤] . كما يقول في كتابه ماذا خسر العالم بانحطاط المسليمن " تحولت أوربا النصرانية جاهلية مادية ، تجردت من كل ما خلفته النبوة من تعاليم روحية ، وفضائل خلقية ، ومبادئ إنسانية ، أصبحت لا تؤمن في الحياة الشخصية إلا باللذة والمنفعة المادية . . . ، وازداد هذا القطار البشري سرعة إلى الغاية الجاهلية حيث النار والدمار والاضطراب والتناحر والفوضى الاجتماعية والانحطاط الخلقي والقلق الاقتصادي والإفلاس الروحي " [٥] . (للحديث بقية)

---

[١] مجلة الأسرة ، صفر ، ١٤٢٠هـ .

[٢] مجلة الأسرة ، (٧٠) ، محرم ، ١٤٢٠هـ .

[٣] مجلة المجتمع ، العدد (١٣٩٩) .

[٤] الندوي ، أبو الحسن علي الحسني ، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية ، الطبعة الأولى ، الهند ، المجمع الإسلامي العلمي ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ص١٧٠ .

[٥] الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، الطبعة السادسة والستون ، تحقيق : السيد عبد الماجد الغوري ، بيروت ، دمشق ، دار ابن كثير ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ، ص ٢٨٨ .

التعليم النبوي : طرقه وأساليبه ووسائله

(الحلقة الأولى)

الباحث محمد فاروق *

الطريقة والأسلوب والوسيلة وأهميتها في التعليم :

الطريقة والأسلوب وإن كانا يستخدمان بالتبادل في بعض الأحيان إلا أنهما تختلفان بالمعنى الدقيق . في حين يشير الأسلوب إلى النهج الذي ينظر به المعلم إلى المحتوى أثناء اتخاذ قرار حول كيفية تدريسه ، تشير الطريقة إلى الكيفية التي يقرر بها المعلم تعليمه في نهاية المطاف . وفي حين يشير الأسلوب إلى الإطار النظري الذي يمهد اتجاه التعليم وزاويته ، تشير الطريقة إلى عملية التدريس خطوةً بخطوة [١] . أما وسيلة التعليم فهي مجموعة أجهزة وأدوات ومواد يستخدمها المعلم لتحسين عملية التعليم والتعلم بهدف توضيح المعاني وشرح الأفكار في نفوس التلاميذ . فالوسيلة لا تعتمد على استخدام الألفاظ وحدها ، بل على استخدام الخبرات الحسية المباشرة وغير المباشرة حيث يستخدم المتعلم فيها حواسه المختلفة من بصر وسمع ولمس وشم وتذوق .

وتجلب الأساليب والطرق اللاحقة بها والوسائل المستخدمة فيها أهميةً كبيرةً في التعليم وإدارة الفصول الدراسية وتعزيز الطلاب وتحقيق الأهداف . قال عالم النفس الأمريكي المعروف في القرن الماضي ب . ف . سكينر (B F Skinner) : " يمكنك تعليم أي شخص أي شيئ شريطة أن تعرف كيفية التدريس " . وهذا يبرز أهمية الأساليب والطرق في جميع مستويات التعليم . لذلك ، إذا حلل المرء أي منهج لتعليم المعلمين ، وجد أن هناك وزناً أكبر لمنهج دورات التدريس [٢] .

الأسلوب الحديث والأسلوب النبوي :

من بين الأساليب المختلفة الأساليب البارزة التي تناقش في الوقت

* قسم اللغة العربية ، جامعة مدراس (الهند) .

١ www.differencebetween.com/

٢ DIFFERENT APPROACHES TO TEACHING :p.68-87

الحاضر في المنتديات التعليمية هي الأساليب الأربعة : الأسلوب الاستنتاجي والأسلوب الاستقرائي والأسلوب المركز على المتعلم والأسلوب المركز على المعلم . الأسلوب الاستنتاجي تحليل الكليات للوصولٍ إلى الجزئيات ، ويقدم المدرس الأسس العامة والقواعد والقوانين جاهزة إلى الطلبة لتطبق على الأمثلة والحقائق الجزئية التي تصدق عليها تلك القوانين والقواعد ، أو أنه يفسر ويشرح لهم القواعد والحقائق التي سبق أن ألقيت عليهم [١] . الأسلوب الاستقرائي أسلوب يحاول به المعلم إشراك المتعلم في التعليم بجميع الجزئيات واستقصائها للوصول إلى الكليات ويستخدم عندما يراد الوصول إلى قاعدة عامة . الأسلوب الاستقرائي يمكن المعلم من تقديم حقائق جديدة جاهزة إلى الطلاب ، الأسلوب الاستنتاجي يبدأ بالنظريات ويتقدم إلى تطبيقات تلك النظريات ، والمنهج الاستقرائي يبدأ بالملاحظات والبيانات التجريبية ، والتي يقوم الطلاب بتحليلها وتعميمها ثم إيجاد طرق لتطبيق الاستنتاجات في حل مشاكل العالم الحقيقي [٢] . " إذا قام المعلم بترتيب أنشطة التدريس والتعلم في الفصول الدراسية بطريقة تزيد من مشاركة الطالب ، فإن هذا النوع من التدريس في الفصل الدراسي يسمى التدريس المركز على المتعلم " [٣] . في التدريس المركز على المعلم يؤكد المعلم السيطرة على المواد التي يدرسها الطالب والطرق التي يدرسها بها – أي متى وأين وكيف وبأي وتيرة يتعلمونها [٤] .

وفي تعليمه نراه صلى الله عليه وسلم يستخدم مختلفةً من الأساليب حسب اختلاف مادة التدريس وقدرة المتعلمين وسائر الظروف . أحياناً يوصل النبي المعلم صلى الله عليه وسلم العلوم لأصحابه مباشراً بإيضاح القواعد والأحكام ، ولكن في بعض الأحيان يعدد صلى الله عليه وسلم الأحوال المخصوصة الجزئية أمام الصحابة ثم يؤكد القاعدة

---

[١] أساليب قواعد اللغة العربية، كامل الدليمي : ص ٧٩ .

[٢] Prince, M. J., & Felder, R. M. (2006). Inductive teaching and learning methods: Definitions, comparisons, and research bases. Journal of Engineering Education, 95(2), 123–138.

[٣] Nagarajan K (2019), Learning and teaching p.181

[٤] Great School Partnership (2013), Student-centered learning definition

الكلية المستنبطة منها . ففي حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا ، قال : فمن تبع منكم اليوم جنازة ، قال أبو بكر رضي الله عنه أنا . قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ، قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا . قال : فمن عاد منكم اليوم مريضاً ، قال أبو بكر رضي الله عنه : أنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة " [1] . واضح هنا أنه صلى الله عليه وسلم عدد بعض الأمور الجزئية من الأعمال الخيرية ثم أكد حكماً كلياً من أن من اتصف بهذه الخصال فاز ، وفي حديث آخر رواه الإمام البخاري في صحيحه عن نافع ، عن عبد الله : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام راع وهو مسؤول ، والرجل راع على أهله وهو مسؤول ، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسؤولة ، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول ، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول " [2] ، أولا وضح رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر الكلي المنطبق على أمور مختلفة ، ثم بين بعض الجزئيات منها لأصحابه . وفي حديث متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي يلهث كاد يقتله العطش فنزعت خفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك " . قيل : إن لنا في البهائم أجراً ؟ قال : " في كل ذات كبد رطبة أجر " أنه صلى الله عليه وسلم توصل بجزئي – وهو قصة امرأة مع كلب – إلى إيضاح حكم كلي وهو أن في كل ذات كبد أجراً [3] .

عن أنس بن مالك قال : " نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيئ ، فكان يعجبنا أن يجيئ الرجل من أهل البادية ، العاقل ، فيسأله ونحن نسمع ، فجاء رجل من أهل البادية ، فقال : يا محمد ، أتانا رسولك ، فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ؟ قال : صدق ، قال : فمن

---

[1] صحيح مسلم : ١٠٢٨ .
[2] صحيح البخاري : ٢٢٧٨ .
[3] صحيح البخاري : ٢٣٣٤ .

خلق السماء ؟ قال : الله ، قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : الله ، قال : فمن نصب هذه الجبال ، وجعل فيها ما جعل ؟ قال : الله ، قال : فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال ، آلله أرسلك ؟ قال : نعم ، قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا ، قال : صدق ، قال : فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا ؟ قال : صدق ، قال : فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا ؟ قال : صدق ، قال : فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ؟ قال : صدق ، قال : ثم ولى ، قال : والذي بعثك بالحق ، لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لئن صدق ليدخلن الجنة "[1] . ففي هذين الحديثين يلعب صلى الله عليه وسلم دور السائل أكثر والمتعلم بنفسه يصل إلى الأحكام ويفهمها .

الطريقة الحديثة والطريقة النبوية :

الطرق التعليمية المتداولة المناقشة في أيامنا الحاضر كثيرة مشهورة . بعد تتبع المحاضرات والمناقشات حول الطرق التعليمية عرفت أن خمس طرق تعليمية كانت أكثر اشتهاراً واهتماماً . وتلك طريقة الإلقاء وطريقة المناقشة وطريقة الاستقصاء وطريقة العصف الذهني وطريقة القدوة . أما طريقة المحاضرة فهي الطريقة القديمة التي تناولها الإنسان للتعليم ويتولى فيها المعلم عرض موضوع معين وتقديم المعلومات بأسلوب شفهي يلائم مستويات المتعلمين من أجل تحقيق هدف أو أهداف الدرس ، ويدخل تحت هذه الطريقة أنواع من الطرق نحو المحاضرة والوصف والقصة والشرح وغيرها .

وعن الزبير رضي الله عنه قال : جئت حتى جلست بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ بطرف عمامتي من ورائي ثم قال : يا زبير ! إني رسول الله إليك خاصة وإلى الناس عامة ، أتدري ماذا قال ربكم ، قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : قال ربكم حين استوى على عرشه ونظر إلى خلقه ، عبادي أنتم خلقي وأنا ربكم ، أرزاقكم بيدي ،

[1] صحيح مسلم : ١٢ .

فلا تتعبوا فيما تكفلت لكم واطلبوا مني أرزاقكم وإلي فارفعوا حوائجكم ، انصبوا إلى أنفسكم أصب عليكم أرزاقكم ، أتدرون ماذا قال ربكم ، قال الله تعالى : عبدي أنفق أنفق عليك وأوسع أوسع عليك ولا تضيق فأضيق عليك ولا تضر فأضر عليك ولا تحزن فأحزن عليك ، إن باب الرزق مفتوح من فوق سبع سماوات متواصل إلى العرش لا يغلق ليلاً ولا نهاراً ، ينزل الله تعالى منه الرزق على كل امرئ بقدر نيته وعطيته وصدقته ونفقته ، من أكثر أكثر له ، ومن أقل أقل له ، ومن أمسك أمسك عليه ، يا زبير ! فكل وأعط ولا توك فيوكى عليك ، ولا تحص فيحصى عليك ، ولا تقتر فيقتر عليك ، ولا تعسر فيعسر عليك ، يا زبير ! إن الله تعالى يحب الإنفاق ويبغض الإقتار وإن السخاء من اليقين والبخل من الشك ، فلا يدخل النار من أيقن ولا يدخل الجنة من شك ، يا زبير ! إن الله يحب السخاء ولو بفلق تمرة والشجاعة ولو بقتل عقرب أو حية ، يا زبير ! إن الله تعالى يحب الصبر عند زلزلة الزلزال ، واليقين النافذ عند مجيئ الشبهات ، والعقل الكامل عند نزول الشهوات ، والورع الصادق عند الحرام والخبيثات ، يا زبير ! عظم الإخوان وجلل الأبرار ووقر الأخيار وصل الجار ولا تماش الفجار وادخل الجنة بلا حساب ولا عذاب ، هذه وصية الله إلي ووصيتي إليك يا زبير [1] .

أما طريقة المناقشة فمن أحدث طرق التدريس وجوداً تقوم على الحوار بين المعلم والمتعلم في صورة أسئلة ومناقشة لذلك يطلق عليها طريقة المناقشة .

حديث جبريل المشهور أشهر الأدلة في استخدام الحوار والمناقشة في التعليم النبوي ، والحديث ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزاً يوماً للناس ، فأتاه جبريل فقال : ما الإيمان ؟ قال : الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وبلقائه ، ورسله ، وتؤمن بالبعث . قال : ما الإسلام ؟ قال : الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان . قال : ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : متى الساعة ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل

[1] نوادر الأصول : الأصل السادس عشر في أن خوف الاقلال من سوء الظن بالله تعالى .

، وسأخبرك عن أشراطها : إذا ولدت الأمة ربها ، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان ، في خمس لا يعلمهن إلا الله . ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَة) الآية ، ثم أدبر ، فقال : ردوه . فلم يروا شيئاً ، فقال : هذا جبريل ، جاء يعلم الناس دينهم [1] .

أما طريقة العرض فهي طريقة استخدام المعلم الوسائل المتنوعة والتجارب لتفهيم الأحكام وتوضيح المفاهيم . وهذه الطريقة أكثر انجذاباً وشيوعاً في العالم المعاصر حيث تطور فيه التقنيات التعليمية . ونرى في التعليم النبوي لمعات استخدام هذه الطريقة حسب الاستطاعة في ذلك الزمان .

عن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى نخامةً في القبلة ، فشق ذلك عليه ، حتى رئي في وجهه ، فقام فحكه بيده ، فقال : إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه ، أو ، إن ربه بينه وبين القبلة ، فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته ، ولكن عن يساره أو تحت قدميه . ثم أخذ طرف ردائه ، فبصق فيه ، ثم رد بعضه على بعض ، فقال : أو يفعل هكذا [2] .

عن أبي سعيد : أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بغلام وهو يسلخ شاة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تنح حتى أريك " فأدخل يده بين الجلد واللحم ، فدحس بها حتى توارت إلى الإبط ، ثم مضى فصلى للناس ولم يتوضأ [2] .

عن حمران مولى عثمان بن عفان : أنه رأى عثمان دعا بوضوء ، فأفرغ على يديه من إنائه فغسلهما ثلاث مرات ، ثم أدخل يمينه في الوضوء ثم تمضمض واستنشق واستنثر ، ثم غسل وجهه ثلاثاً ويديه إلى المرفقين ثلاثاً ، ثم مسح برأسه ، ثم غسل كل رجل ثلاثاً ، ثم قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ نحو وضوئي هذا ، وقال : " من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه ، غفر الله له ما تقدم من ذنبه " [3] .

(للحديث بقية)

---

[1] صحيح البخاري : ٥٠ .
[2] صحيح البخاري : ٣٩٧ .
[3] صحيح البخاري : ١٥٧ .

التسويق الشبكي الهرمي

(NETWORK MARKETING)

من وجهة نظر إسلامية

(الحلقة الأولى)

الدكتور خورشيد أشرف إقبال الندوي (لكناؤ)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد ، وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فقد من الله تعالى على هذه الأمة أن هداها إلى الإسلام ، الذي رضيه لها ديناً ، وجعل شرعته خاتمة الشرائع ، تنتظم بأحكامها السمحة ومبادئها السامية شتى مناحي الحياة ، في كل مجتمع ، وإن تبدلت الأزمان وتعاقبت السنون .

وفي ظل التطور السريع في كل المجالات ، وتنامي الأسواق المالية العالمية ، جاء اختراع وابتكار وسائل التسويق الأكثر فاعلية ممن كانت موجودة من قبل ، ولا تزال تتجدد هذه الأساليب كل يوم ، ومع تقدم الحضارة ، وانبلاج السوق على مصراعيه ، وظهور المجالات الجديدة التي تتواكب مع التسارع الحضاري الذي يشهده العالم ؛ أصبح طرق باب التجارة الإكترونية ملحاً لدى الكثيرين .

وفي الآونة الأخيرة ظهرت قضية ذات الأهمية البالغة في مجال القضايا الاقتصادية المعاصرة ، وهي نموذج مستجد من نماذج التسويق التي برزت بشكل واضح وقوي على الساحة الاقتصادية ، وهي قضية التسويق الهرمي الشبكي ؛ حيث إن هذه القضية قد استحوزت على جانب كبير من سوق التجارة الإلكترونية الرقمية في مدة قصيرة ، وتبوأت مكانة عالية ومهمة لدى الشركات التي تستخدم هذا الأسلوب من التسويق الحديث ؛ وذلك لاستقطاب مجموعة كبيرة من الناس ، ليكونوا عملاء دائمين أو شبه دائمين لديها .

ونظراً لشيوع هذه القضية في الوقت الحالي ، وانخراط كثير من

المسلمين في هذا المجال التسويقي ، ثار الجدل العلمي والشرعي حولها كثيراً ، ولا يزال يثور حتى اليوم . وهنا تبرز الأهمية في دراستها من الجوانب الشرعية ؛ – وذلك بعد تطور ماهياتها وأشكالها وطبائعها ، بالإضافة إلى تكاثر عقودها وتعدد أسمائها وتنوع خصائصها – وإعطاء فكرة واضحة عن حكمها الشرعي في الفقه الإسلامي المعاصر ، وبالله التوفيق ، وهو سبحانه الموفق للصواب .

أولاً : مفهوم التسويق الشبكي الهرمي :

يحسن بنا قبل إيراد التعريف الاصطلاحي للتسويق الهرمي الشبكي ، أن نوضح ما يأتي :

هناك ارتباط وثيق بين التسويق الشبكي والتسويق الهرمي [1] ، فكلاهما مرادف للآخر ، ولم أجد في حدود تتبعي أحداً من المصطلحين من المتخصصين في الاقتصاد من فرق بينهما ؛ إذ جوهر النظامين واحد في واقع الأمر ، فالهرمية وصف ملازم لجميع خطط التسويق الشبكي ؛ حيث تبدأ الشبكة بشخص واحد هو رأس الهرم ، ثم تتسع نزولاً على حسب عدد الأشخاص الذين يزيدون في المستويات الدنيا . فلعبرة بالحقائق وليست بالمسميات ، ولا مشاحة في الاصطلاح ما دام أنه يصدق على الكل الوصف نفسه (اشتر لتسوق ، فقد تكسب) .

والتسويق الشبكي بالإنجليزية : (Web Marketing) أو (Network Marketing) والتسويق الهرمي (Pyramid Marketing) أو (Hierarchical Marketing) .

وسمى التسويق الشبكي الهرمي ؛ لأنه مركب من شبكة من الزبناء يرتبط بعضهم ببعض ارتباط الشبكة على شكل الهرم ، كلما نزلتْ اتسعتْ قاعدة الزبناء فيه . وقيل : سمي بهذا الاسم ؛ لوجود موزعين يعملون على مستويات مختلفة من سلاسل التوزيع ؛ إذ إن الفرد حديث الانضمام للشبكة التسويقية يكون تابعاً للفرد الذي انضم إلى الشبكة التسويقية من خلاله .

ويمكن تعريف التسويق الشبكي الهرمي بأنه نوع من تسويق

---

[1] أقصد به التسويق الهرمي القائم على منتجات أو خدمات ، وهو المنتشر في جل هذا النوع من الشركات ، وهو الذي يجري الخلاف واللغط بين العلماء في عصرنا الحالي ، وذلك لكثرة المنتسبين لمثل هذا التسويق من شباب المسلمين ، أما التسويق الهرمي بدون منتج فهو يقل وجودها اليوم .

المنتجات والخدمات مبني على التسويق التواصلي ؛ حيث يقوم المستهلك بدعوة مستخدمين آخرين لشراء المنتج مقابل عمولة ، ويحصل على نسبة حالة قيام عملائه ببيع المنتج ؛ بحيث يصبح على قمة الهرم من العملاء والزبائن .

كما يُطلق التسويق الشبكي الهرمي على نظام يقوم على استقطاب العملاء عن طريق الانتساب للشركة لإمكانية الاستفادة من منتجاتها ، ثم تنسيب مشتركين جدد عن طريقهم ، يعتبر المنتسِب إليها رأسَ هرم لغيره ، وفي الوقت نفسه يعتبر هو جزءاً من هرم غيره ، وتقدّر أرباح الأعضاء بطريقة حسابية تراكمية حسب مشترياتهم ومشتريات الأعضاء الذين ينتسبون عن طريقهم .

وهناك من عرف التسويق الشبكي الهرمي بأنه استراجية بيع وتسويق تبيع فيها الشركة منتجات أو خدمات من خلال تجنيد أشخاص آخرين لبيع المنتجات أو الخدمات نفسها ، ويتم دفع عمولة للبائع أو الموزع الأصلى لتجنيد مندوبى مبيعات جدد .

وتعريف آخر يرى أنه نظام استحدثه بعض الشركات لتحقيق الأرباح ، تكون المكافأة فيه على استقطاب العملاء الجدد ، وتقدر بطريقة حسابية هرمية متراكمة متشابكة [1] .

وتتلخص الفكرة الجوهرية للتسويق الشبكي الهرمي في أنه استراتيجية تستخدمها بعض شركات البيع المباشر لتسويق السلع والخدمات ، بالاعتماد على التواصل مع العميل ، وبأن يقوم هذا العميل (المستهلك) بدعوة عملاء آخرين (مستهلكين) لشراء السلعة أو الخدمة مقابل حصوله على عمولة ، وفي حال قام العملاء الآخرون الذين قام بدعوتهم ببيع السلعة أو الخدمة لعملاء آخرين أيضاً ، سيحصل العميل

[1] انظر : التسويق الشبكي نشأته ومستقبله ، حمزة البلوش ، ص ٨ ، حقيقة التسويق الشبكي قراحلي أحسن ص ٩ ، التسويق الشبكي من المنظور الفقهي ، أسامة الأشقر مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات المجلد الثامن العدد الأول ص ٤ ، حكم التسويق بعمولة هرمية ، أحمد سمير القرني ص ١٠ ، مبادئ التسويق بيان حرب ٢٠٠ ، الأنظمة الهرمية بحث الهيئة التجارية الفيدرالية الأمريكية ص ١، www.investopedia.com, Retrieved, multi level. Marketing, http://www.shubly.com/index.php?news=275, www.annajah.net-delive,www.platform.almanhal.com

الأول على نسبة أخرى من العمولة ، ليكون بذلك على قمة هرم ، ويليه شبكة من العملاء ؛ وبذلك يكون المنتج مهما كان نوعه مجرد ذريعة لتجنيد العديد من العملاء مقابل العمولات .

ثانياً : الخصائص المشتركة لشركات الشبكي الهرمي :

(١) اشتراط الشراء من الشركة للحصول على مميزات العضوية ، وإلغاء الاشتراك حين التخلف عن الشراء ، سواءً كان هذا الشراء عند التسجيل ، أو مرة في السنة ، أو مرة واحدة طيلة مدة الاشتراك ، وقد يكون سعر هذه المنتجات حقيقياً أو مبالغاً فيه . وبعض هذه الشركات تشترط التسجيل عضواً فيها ليتمكن الشخص من شراء منتجاتها ، وقد لا يتيح بعضها التسجيل إلا عن طريق عضو سابق .

(٢) تنسيب غير محدود للمسوِّقين من المشاركين ، في سلسلة لا نهاية لها ، وحينها يصبح المشترك الجديد عضواً في شبكة المسوّق ، ويكون للمسوّق الأول نصيب من أرباح العضو الجديد ومن ينتسب عن طريقه .

(٣) تعتمد هذه الشركات في تسويق منتجاتها على الترويج والإغراء بإمكان الحصول على دخل كبير وأرباح هائلة في حال الوصول إلى نصاب شراء معين ، ومن خلال القدرة على تنسيب مشتركين جدد في الشركة ، وأخذ نسبة على مشترياتهم .

(٤) غالباً ما يكون المسوّق هو المستهلك في هذه الشركات ، فيحقق شروط العضوية بشراء السلع ، ثم يحاول زيادة الأرباح التي يحصل عليها من خلال تسويق المنتجات لغيره ، بخلاف التسويق التقليدي الذي يمثل فيه المستهلك الطرف الأخير في العملية التسويقية [١] .

ثالثاً : إيجابيات التسويق الشبكي الهرمي :

يوجد العديد من الجوانب الإيجابية من النواحي الاقتصادية للتسويق الهرمي الشبكي ، منها ما يلي :

- عدم وجود حدود لحجم هيكل التسويق الشبكي ؛ وذلك ينتج عن استطاعة الشركات الارتباط بعدد كبير من الأشخاص من أجل توظيف موزعين ، وكذلك بإمكان الموزعين التنسيق مع الموزعين الفرعيين الآخرين في الشركة بغرض توسيع مبيعاتها .
- زيادة الدخل : إن من أبرز المزايا التي يحققها المستفيدون من التسويق

[١] انظر : المراجع السابقة نفسها .

الشبكي هو توفير دخل إضافي يساعد على تحسين مستوى معيشة الأفراد والارتقاء بها وعدم الاعتماد على الدخل المحدود .

- لا تحتاج الشركات خلال التَسويق الشَبكي إلى الإعلان والدعاية عن منتجاتها ، لأنها تملك شَبكة توزيع قوية تجذب العملاء بشكل مباشر .
- توفر التسويق الشبكي فرص عمل للعاطلين عن العمل أو من يرغبون في تحقيق دخل إضافي ، وعلى العكس من باقي الوظائف فيحقق المسوّق دخلاً فور إتمامه أول عملية بيع .
- لا تتفق الشركات خلال التسويق على التخزين والتسليم ، فالموزع المسئول عن هذه التكاليف ، يمكن للموزع جني مبلغ كبير من الأرباح من المعاملات التجارية مع الشركة وبالتالي زيادة العمولة .
- قلة الجهد مع مرور الوقت : مع مرور الوقت يقل بشكل كبير الجهد المبذول من المسوقين القدامى بسبب الطبيعية الهرمية للتسويق الشبكي من خلال دخول مسوقِين جددٍ يحاولون بذل جهود مضاعفة من أجلِ تحقيق الدخل ، مما يعني مزيداً من الدخل للمُسوقين القدامى وجهداً أقل بكثير .
- يمنح التَسويق الشبكي استقلاليةً كاملةً في بيئة العمل وثقافته مع القدرة على بناء الشركة في وقتٍ سريع ومحدد .
- يستخدم التسويق الشبكي نظماً تسويقيةً سهلة التنفيذ لبيع المنتجات وتطوير أداء فريق العمل ، مما يساهم في تطوير المسوق نفسه في المجال وتحسين مهاراته القيادية وتحقيق رضا العملاء .

رابعاً : سلبيات التسويق الشبكي الهرمي :

وعلى الرغم من إيجابيات التسويق الشبكي الهرمي المتعددة اقتصادياً ، إلا أنه يحيط به عدة سلبياتٍ ، من أبرزها :

- صعوبة التنبؤ بأهداف الإنتاج نتيجةً لاعتماد المصنعين على الموزعين لتحديد طلب المستهلك ، ويمكن أن ينتهي الأمر بنقص ، أو الإفراط في تخزين المنتجات .
- قد يبدو التسويق الشبكي وسيلةً سهلةً وسريعةً لكسب المال لكنه عكس ذلك ، فغالباً ما يستغرق فترات طويلة لإعطاء نتائج مرضية .
- حدوث العديد من عمليات الاحتيال من خلال التَسويق الشَبكي ، حيث يعد هذا النوع من الاحتيال مشكلة العصر الحديث .
- الموزعون هم أساس العمل في التسويق الشبكي ؛ إذ أنهم يسهلون

تسليم البضائع إلى العملاء النهائيين ، وللمصنعين دور محدود كذلك مما يسبب صعوبة التحكم في كل من التوزيع ، والمبيعات .

- الاتكاء على مستهلكي السلع من أجل تسويقها ، وهذا يعني إجبار كل من يرغب في العمل بالتسويق الشبكي على شراء سلع قد لا يحتاجها ، أو قد تكون باهظة الثمن .
- يصعب شرح المنتج وطبيعة المخطط لكافة العملاء في هذا النوع من التسويق [1] .

خامساً : أنواع التسويق الشبكي الهرمي وأقسامه :

لا يوجد نوع واحد فقط للتسويق الشبكي الهرمي ، بل يأخذ التسويق الشبكي أشكالاً متعددة ، كما أن القائمين عليه يبتكرون بين الحين والآخر أنواعاً جديدة ، تبعاً لسياسات الشركات التسويقية وأهدافها الترويجية ، ومن أشهر أنواعها :

- التسويق المباشر (Single-Tier Network Marketing) : هو تسويق أحادي المستوى حيث يسجل الأفراد أنفسهم لبيع خدماتهم أو منتجاتهم . لذلك لا داعي لتجنيد أي موزعين في التسويق المباشر ، إذ يربح الفرد ربحاً مباشراً من المبيعات التي يبيعها بنفسه ، أو يتم الدفع مقابل النقرة أي تسجيل دخول إلى موقع الويب ، مع العلم بأن العديد من شركات التجميل الشهيرة يستخدم هذا النوع من التسويق .
- التسويق بالتبعية أو التسويق بالعمولة أو تسويق ثنائي المستوى (Two-Tier Network Marketing) : وهو شراكة بين المسوق والعلامة التجارية الترويجية ، إذ تتمثل مهمته في الترويج لهذه العلامات التجارية على المدونات الخاصة ، أو منصات وسائل التواصل الاجتماعي ثم يتلقى الأرباح على هذه المبيعات تبعًا للروابط الخاصة .
- التسويق متعدد المستويات (Multi-Tier Marketing) : هو تسويق شبكي قائم على التوزيع ، ويضم المبيعات المباشرة والموزعين

---

[1] ينظر بخصوص الإيجابيات والسلبيات : إدارة التسويق طارق طه ص ٢٧ وما بعدها ، التسويق المباشر بشير العلاق ص ١٦٥ – ١٦٦ ، مبادئ التسويق بيان حرب ص ٢٠٤ – ٢٠٦ ، سلوك المستهلك خالد الجريسي ص ١٥ – ١٨ ، التسويق كاترين فيو ٢٩ – ٣٠ www.portal.arid.my , https://tijaratuna.com, https://www.egy.press.com, https://aynalarab.net, https://specialties.bayt.com

والمخططات الهرمية ، كما يعتمد على بيع المنتجات التي يحددها الموزع.

وهناك من يقسم التسويق الشبكي الهرمي على النحو التالي :

(١) التسويق من غير وجود سلعة أو خدمة : وتقوم هذه الفكرة على استخدام أموال عدد من المنضمين الجدد ، ثم توضع تلك الأموال تحت تصرف القدامى في أعلى الهرم ؛ وذلك لاستثمارها أو المقامرة بها ، ولا يتم فيه بيع أي سلعة أو خدمة ، ولا يتم دفع عمولات أو حوافز ، وإنما يقوم المسوق الأقدم في الشبكة بتجميع اشتراكات مالية مع وعود بأرباح طائلة .

(٢) التسويق مع وجود سلعة (صورية) : وينقسم هذا النوع حسب سياسات الشركات وأهدافها الترويجية إلى ما يأتي :

- النظام الثنائي : (Binary System) : وهو يعتمد على التوازنات في الشبكات ، فتنقسم الشبكات التسويقية نصفين يمين ويسار ، ويجب أن يحافظ العميل على التوازن بين النصفين أو الجبهتين كي يربح المزيد من العمولات ، فمثلاً إذا كان المطلوب منك أن تسوق إلى (٨) أشخاص بالتوازن ، فيلزم أن يكون (٤) ناحية اليمين و (٤) ناحية اليسار .

وينبغي التنويه إلى نقطة مهمة ، وهي أنك إذا أحضرت بواحد على اليمين أو على اليسار وأتيت بألف واحد على الجبهة الأخرى ، فإنك لا تربح شيئاً ، لأن العمولة لا تدفع لك إلا إذا كانت الشبكة متوازنة على اليمين وعلى اليسار .

- نظام المصفوفات (Matrix System) : ويعتمد هذا النظام على المصفوفات ، وهو خطة المستويات متعددة الأعضاء ، وبهذا النظام لا يشترط التوازن العددي مثل النظام الثنائي ، وهو ليس نظاماً واحداً ، وإنما يتفرع إلى أنظمة عديدة ، منها المصفوفة (١❖٢) بمعنى (٢) مستوى أفقي (١) مستوى عمودي ، ومنها (٢❖٢) ، أي (٢) أفقي و (٢) عمودي ، وهكذا [١] .

(للبحث صلة)

---

[١] انظر : التسويق الشبكي نشأته ومستقبله البلوش ص ١٢ ، التسويق التجاري وأحكامه سعيد الشهراني ص ٥٢٢ ، مبادئ التسويق حرب ص ٢٠٨ ، التسويق الشبكي الذيابي ص ٢١ ، إدارة التسويق طه ص ٤٤ وما بعدها ، التسويق الشبكي من المنظور الفقهي أسامة الأشقر ص ٤ – ٥ ، https://specialties.bayt.com و www.investopedia.com, etrieved, multi level . Marketing, http:// www.shubly.com/index.php?news=275

مبادئ أساسية لتعلم اللغة العربية

الأستاذ إرشاد أحمد السالارزئي *

الحمد لله الذي أنزل كتابه بلسان عربي مبين ، والصلاة والسلام على رسوله النبيِّ الكريم الناطق بالضاد ، وعلى آله وأصحابه الذين بذلوا الغالي والنفيس في نشر الثقافة الإسلامية أما بعد .

فلا شك أن اللغة العربية لها جهتان مختلفتان : إحداهما : دينية ، والأخرى : دنيوية . أما جهتها الدينية فهي أنَّ العربية لغة القرآن والحديث ، وبها تتبيَّن المصطلحات الدينيَّة والتعبيرات الشرعيَّة التي لا يمكن فهمها إلا باللغة العربية ، وكذا لا تتم الاستفادة من تاريخها القديم – الذي امتد إلى أربعة عشر قرناً وخمسين عاماً – واللغة العربية هي السبب الوحيد الذي يتيسر توطيد صلة المسلمين بها وترغيبهم فيها ؛ ومن ثم يجب على سائر المسلمين أن يفهموها فهماً كاملاً بصورة صحيحة متكاملة .

وأما الجهة الدنيوية للغة العربية فهي أنها لغة عاشت لغةً حيةً في العصور الإسلامية كافةً إلى يومنا هذا ؛ حيث بقيت على هويتها الحقيقيَّة لكونها لسان الوحي الإلهي الشريف ، وإلى ذلك فإنَّ العربية لغة راقية في الزمن الحاضر ؛ فإنَّ الناطق بها يتمكن من التعبير عن خواطره ، ومن ثم يجب على المسلمين أن تكون علاقتهم واقعيةً وطيدةً بها في حياة الفرد اليومية ليكون أشخاص المجتمع الإسلامي قاطبة قادرين على المحادثة والخطابة والكتابة بها بكل حرية من دون تكلف ، بل ينبغي أن تكون العربية لغة الكلام والمخاطبة في جميع المجالس العامة .

ومن العجب العجاب أنَّ قوماً يَقضون قسطاً كبيراً من الحياة ويَصرفون قدراتهم الذهنية في دراسة العلوم العربية وتعلمها وفهمها لكنهم رغم ذلك يعجزون عن النطق بها ، فإنها مأساة كبيرة في التاريخ الحاضر ، وليس لها نظير إلا في شبه القارة الهنديَّة فإلى الله المشتكى وهو المستعان .

* المدرس بجامعة العلوم الإسلامية علامة محمد يوسف ، بنوري تاؤن كراتشي باكستان .

وسبب ذلك الضعف أنَّ اللغة العربية لم تُدرَس كلغة ؛ بل اعتبرت فناً من الفنون فحسب ، واقتصرت إلى فهم الكتب العربية فقط ، ولذلك لم تقدِّم الأمة الهندية محاولاتها ومساعيها لتعليم الإنشاء والتحرير العملي – إلا في الآونة الأخيرة ، ولكنها لا تفي بالحاجة – وبالتالي : نجد أمامنا في العصر الراهن كثيراً من خريجي المدارس الدينية الجدد لا يتمكنون من تحرير سطور معدودة أو محادثة بسيطة بالعربية ، وخاصةً إذا كان ذلك التحرير العملي أو الحوار الشفهي لا يكون دينياً وعلمياً بل يتعلق بشؤون الحياة الفردية اليوميَّة ، وقديماً كان المعنيون بالتعليم العربي أدركوا هذه النقيصة ، ولكن لمَّا اتسعت لنا الاتصالات والعلاقات بالعلماء العرب ، وعمت دائرة الخدمات الدينية ظهرت الحقيقة لكل صغير وكبير ، وذلك قد أسفر عن إنشاء مناهج مختلفة لتعليم العربية في المعاهد والمدارس المختلفة ليتعلم معاشر المسلمين الأعاجم أسماء جديدةً لمعطيات العصر الحديث وأساليب استعمالاتها الصحيحة مع دراسة العلوم الدينية .

مبادئ وتوجيهات هامة لمتعلمي العربية :

ونظراً إلى ذلك فإن تعلم العربية يتطلب بيان بعض المبادئ الأساسية المهمة التي يجب إلمامها ومعرفتها لتعلم اللغة العربية على الوجه الصحيح فكلما بقي فيها تقصير صار تعلمها من دون جدوى ، ويفتقر الموضوع إلى إشباع البحث وإيفاء المقال ؛ ولذلك فقد أحببت أن أحرِّر ههنا أسطراً قليلةً ليتضح الأمر .

التوجيه الأول : التضلع من علمي النحو والصرف :

إذا أراد شخص أن يدرس العربية ويتمهر فيها فعليه أن يتعلم قواعد النحو والصرف على أتم وجه ، وينبغي أن يطلع على سائر محاسن التعبيرات والعبارات العربية ، وأن يتمكن من حل العويصات النحويَّة كلها ، وبالتالي : يُهيمِن على فهم المعاني وإدراك المفاهيم العربية وتصحيح الأخطاء فيها ، وهذه المرحلة تتعلق بتطبيق القواعد على الأمثلة ، وتتقوى بقدر تضلُّع التلميذ من قواعد النحو والصرف ، ويمكن تعلم العربية بهذه المرحلة لمن يريد الاشتغال بدراسة العلوم الشرعية فقط ؛ إذ لا يتمكن أحد من فهم العبارات العربية من غير إتقان الأصول النحويَّة .

التوجيه الثاني : تصحيح القراءة العربية وتعلم الطلاقة :

لا جَرَمَ أن قراءة العبارات العربية الصحيحة والتمهر فيها أمر مهم للغاية ؛ إذ كثرت الغفلة وشاع الضعف في الدارسين من هذه الناحية إلى حد كبير ، وتتردى حالتهم يوماً بعد يوم ؛ ولذلك يجب أن يصرف الطلاب مجهودهم في تصحيح القراءة العربية من أول خطوة تعليمية وهي نقطة انطلاقه من الصف الأول ، فإن الطالب يتخلف في مجالات كثيرة إن كانت قدرته ضئيلةً في فهمها وقراءتها ، وكان الأساتذة يقولون قديماً : إنَّ الأخطاء الصرفية والنحوية – بعد اجتيازه الصف الأول والثاني – ذنبٌ لا يُغتَفر ، ولكن مع الأسف كل الأسف لقد شاع هذا الذنب بين المحصلين غالباً حتى لا يكاد يتجنبه أحدهم .

ولقد سلَّط الشيخ المفتي محمد تقي العثماني – أطال الله بقاءه بالعافية – الضوء على أساليب تدريس علم النحو فأحسن تسليط الضوء ، وأجاد البحث ولتعم الفائدة أذكر هنا نقولاً مما كتبه باللغة الأردية فقال :

" ولـيَعلم الأساتذة أنَّ تحصيل العلوم الإسلامية يفتقر إلى فهم القواعد الصحيح وتطبيقها الكامل واستخدامها في مواقعها على الوجه الصحيح ؛ فإنه أساس العلوم ويَتوقَّف عليه فهم سائر العلوم ، فإن كان هذا الأساس مضعضعاً فتتأثر به دراسته لبقيَّة العلوم ، ولذلك فإنه من أهم المهام ، وإنجازه يحتاج إلى الأمور التالية :

١. ليست الغاية من تعليم النحو تحفيظ عبارات الكتاب ، وإنما المقصود أن يَفهم الطالب القواعد المذكورة فيه بحيث يتذكر القاعدة النحوية المطلوبة عند الحاجة إليها ، ويتبادر الذهن إليها ويتمكن من استخدامها الصحيح في مظانها المنشودة .
٢. يجب على المدرس أن يُحذِيَ الطلابَ أمثلةً توضيحيَّةً لجميع القواعد والمصطلحات الفنيَّة ، ويا حبذا إن كانت الأمثلة مأخوذةً من الآيات القرآنية توطيداً لصلة الطالب بالكتاب المبين ، وليراجع المدرسُ " مفتاحَ القرآن " لذلك بصورة مستمرة مستقلة .
٣. بعد أن يُبيِّنَ المدرس للطلاب أمثلةً مُوضِّحَةً بصورة شفهيَّة من عنده يجدر به أن يطلب منهم أمثلةً شتى ، وليكن ذلك بالكتابة والشفاه معاً لتكتمل الفائدة .

٤. يجب الأخذ على الطالب كلما أخطأ في جملة عربية نطقاً وقراءةً ، ويجب تصحيحه عندها ؛ لأنَّ أولَ ما يخطئ فيه الطالب هو إدخال الألف واللام على المضاف ، وعدم التمييز بين التركيب الوصفي وتركيب المبتدأ والخبر ، ولا يتركنَّ للطالب مجالاً للخطأ في هذه التراكيب النحويَّة أصلاً حتى يعتاد الاحترازَ عن هذه الأخطاء النحوية في بادئ الأمر .

٥. ينبغي أن يُكلَّف الطلاب تدريباً كتابياً كل يوم أو بعد ثلاثة أيام على أقل تقدير ، وليراجع الكتب التالية في وضع التمارين : " عربي كا معلم " و " معلم الإنشاء " و " النحو الواضح للابتدائية " ثم يختارمن الكتب المذكورة التمارينَ المتعلقة بالدروس التي أُلقِيَتْ عليهم مع مراعاة مستويات الطلبة ، ويُطالبهم بحلِّ أجوبتها تحريرياً في كراريسهم . (منقول من الأردية : درس نظامی کی کتابیں کیسے پڑھیں اور پڑھائیں : ١١ — ١٤) [١] .

التوجيه الثالث : إمكانية القضاء على الأخطاء في القراءة العربية :

اختلفت طرق الأساتذة وأساليبهم في تصحيح الأخطاء الصرفية والنحوية ، ونقدم هنا ثلاث نقاط تفيد — بإذن الله — في إصلاح سائر الأخطاء اللغوية نحواً وصرفاً :

الأولى : يجب أن يكون تعليم النحو والصرف بصورة دقيقة في بادئ الأمر ، بحيث يُحفَّظ الطلاب القواعد مع تطبيقها العملي بالأمثلة كما مر تفصيله في مقال المفتي محمد تقي العثماني حفظه الله .

الثانية : لابد لمُدرِّسي العلوم العربية — من النحو والصرف والإنشاء — أن يكون لديهم ذوق أدبي سليم ، وينبغي أن يدرس علمي النحو والصرف المدرسون المهرة الراسخون فيهما بحيث يقدرون على بث ذوق الأدب العربي والولوع به في قلوب الطلبة بما آتاهم الله تعالى من المواهب والقدرات الذهنية .

هذا ، وقد كان المدرسون القدماء يُنشِؤون حبَّ كتاب الله العزيز وحبَّ رسوله ولغةِ الإسلام في تلاميذهم حتى كان الطلاب يستمتعون بحفظ قواعد العربية وكتابتها وأدائها الصحيح ؛ لأنهم كانوا

---

[١] لندوة العلماء في تعليم اللغة العربية مقررات عربية تساعد على إتقان اللغة العربية .

يجدون لذةً ليس بعدها لذة ، وإلى جانب ذلك أصبحت معظم الجهود والمشاق سهلة لديهم ؛ لكن مع الأسف الأسيف ! تغيرت الحال وانقلب الأمر رأساً على عقب ، وقلما يوجد شخص يحمل في صدره عواطف الولوع والمحبة للغة العربية الشريفة في الزمن الحاضر مخلصاً لله .

الثالثة : ومن أهم أسباب إنشاء الذوق العربي في الطلاب أن يمنعوا من قراءة الشروح الأردية أصلاً وإن كانوا في البيوت أو غرفات السكن بالمدرسة ، وبخاصة في مراحل الدراسة الابتدائية ، إلا أن يسمح لهم بالنظر في الشروح والحواشي العربية فقط لاغير ؛ ليتعودوا قراءة العبارات العربية ؛ لأنَّ التلميذ الناشئ إذا اعتاد فهم الكتاب بالشروح الأردية من بداية زمن التحصيل تُعييه عباراتٌ عربية وأمهات الكتب العربية ، وعلى الأستاذ أن يقوم بإقراء عبارات الكتب العربية فَينةً بعد فينة ليألف فهم أصعب العبارات بالتدريج .

التوجيه الرابع : الإكثار من القراءة والاطلاع على الكتابات القديمة :

لابد للناشئ في الكتابة العربية أن يُكثِر من قراءة الكتابات ونفثات الأقلام القيمة للأدباء والمصنفين ، وأساتذة الأدب العربي – قديماً وحديثاً – قراءة تفصيليلةً وتحليليلةً ، إذ لا يتمكن الكاتب الناشئ من إجادة التحرير وتثقيف الكلام من غير أن يكون له سابق اطلاع واسع على الأدب العربي القديم والجديد وكتب الأدباء والمصنِّفين ، ومع ذلك عليه أن يواصل الكتابة الحرة خلال التدريب والممارسة على القراءة والدراسة .

وإنَّ هناك آداباً لتحسين التحرير والكتابة تدعو القارئ إلى قراءتها والعكوف عليها دوماً إذا ما التزم بها الكاتب من خلال كتابته حتى لا يدع القارئ ما سطرته أنامل الكاتب مثله إلى أن ينتهي إلى نهايته ، وهي تورث روعةً وجمالاً في الكتابة ، وهي التنسيق في المقال ، والتفصيل عند الحاجة إليه والتقديم والتأخير في الكلام ، والتيسير والسلاسة وحلاوة البيان ، وجميل اختيار التعبير ، فإذا كان التحرير حاملاً لتلك المزايا والصفات الآنفة يستحق عندها أن يقال عنه : " تحرير رائع " ، وإذا خلا الكلام منها لا يقرؤه بل لا يلمسه أحد القارئين المتتبعين .

التوجيه الخامس : التمكن من الكتابة بالعربية :

إنَّ تعليم العربية كما يفتقر إلى النحو والصرف فكذلك يتطلَّب

تمكين التلميذ من الكتابة الحرة بها ، وأن يقدر على التعبير السليم عن خواطره وتحرير ما يجول بخاطره بحرية كاملة ؛ لأن القدرة على الكتابة الأدبية الحرة من المهارات الأربع المطلوبة ، بل إنَّ مسيس الحاجة لتعلم الكتابة العربية الصحيحة أشد وأعظم من المحادثة والخطابة ؛ فإنَّ فائدتهما موقتة غير شاملة ، وأما الكتابة فإنَّ لها فوائدَ ثابتةً مستقلةً بعيدة المدى ؛ لأنَّ الناطق مهما أفصح وسلس كلامُه ، والخطيب مهما فاق وصقع في المقال ولكن مداهما قصير ، ويفنى أثرهما إذا وافاهما الأجل المحتوم ، وأما الكاتب فقد تبقى كتاباته ومقالاته وتأليفاته إلى سنين طويلة وقد تتوارثه أجيال إثر أجيال في القرون اللاحقة ، ألا ترى أن مؤلفي الكتب المنهجية الدراسية خلوا قبل قرون طويلة ، لكن نفثات أقلامهم باقية عند الأجيال الحاضرة ويستقون منها العلوم الشرعيَّة ويدعون لهم ليل نهار زاعمين أنَّ نجاتهم في الآخرة يمكن بالدعاء لهم .

ومما لا شك فيه أنَّ الحركات والفرق الباطلة والأحزاب العلمانية – التي تحمل أفكاراً فاسدة – هيمنَتْ على اللغة العربية منذ مدة كبيرة ، وجعلت تلك الفرق اللغة العربية سلاحاً قويّاً ومجالاً واسعاً لبذل قصارى جهودها في نقد الإسلام والجماعات الدينيَّة المستقيمة على الدين الصحيح المتكامل ، وتريد أن تحطم المسلَّمات والثوابت الإسلامية وتكسِّر بيضتها وتفتك كيانها ؛ فإنَّ اللغة أي لغة كانت هي سلاح حديث متطور في عصر النهضة الحاضر ، ولكنها أصبحت اليوم وسيلةً للدعوة إلى التحلل والفساد وذريعة نشر الإلحاد ، وكذلك أخذت اللغة ووسائل الإعلام ، والتواصل الاجتماعي ، والصحف ، والمجلات المعاصرة دورها النشيط في سبيل إنجاز نشاطات كبيرة لتلك الفرق والأحزاب ، وبالعكس من ذلك فقد عم التهاون في أوساطنا الإسلامية في هذا المجال إلى حد كبير ، وفُقِدَ الشعور الذي يقتضي من المسلمين القيام بأعمالٍ جبارة .

ويؤسفنا كل الأسف أننا لو ألقينا نظرةً عابرةً على الماضي القريب والحاضر لألفينا تقصيراً كبيراً في الأوساط العلمية والطلابية ، ولكن هذه المشكلة تحتاج إلى حلول صارمة على الفور قبل أن يتقدم الجيل المعاصر إلى المستقبل .

وقد تبيَّن – مما قدَّمنا البيان – أنَّ مهارتي النطق والكتابة بالعربية

مهمتان لازمتان كل منهما آخذ بالآخر ، إلا أنَّ التركيز على الكتابة أشد حاجة بالنسبة إلى النطق والكلام ؛ لأن المحادثة يمكن تعلمها في أشهر معدودة ، وإلى جانب ذلك فإنَّ الإنسان العادي لا يحتاج إلى دراسة القواعد النحوية والصرفية ؛ فإنَّ كثيراً من الناس يتحدثون بالعربية وهم لا يعرفون من أصول النحو والصرف شيئاً ؛ لأنهم عاشوا مدة طويلة في البيئة العربية وصاحَبُوا العرب في مجالسهم وندواتهم ، ومعظمهم ممن يتجهون إلى بلاد العرب طلباً للمعاش ولا صلة لهم بالتعليم والدراسة أصلاً ، حتى يكون أحدهم قادراً كاملاً وناطقاً ، سلس بالعربية أحسن من المواطنين العرب ، فالواقع أنَّ تعلم النطق باللغات كلها أيسر وأسهل ، والتحرير لا يحصل إلا بمعرفة القواعد والآداب ولا بد من مراعاتها خلال الكتابات .

التوجيه السادس : أهميَّة تصحيح الإملاء والألفاظ العربيَّة :

لا جرم أنَّ اللغة التي يراد تعلمها يجب مراعاة قواعد الكتابة المعروفة فيها ؛ فقد يفوت معنى الكلام المطلوب عند ترك مراعاتها ؛ ولذلك فإنَّ أهميَّة الإملاء وعلامات الترقيم كبيرة في الكتابة العربية ، علاوة على أنَّ أهل كل الألسن العالمية طفقوا يلتزمون باستخدامها الآن علماً أنَّها لم يَلْقَ اهتماماً كبيراً في الزمن القديم كالاهتمام بها في الحاضر ، وإن كانت كتابة الكلمات العربية صحيحة .

ولو كُتِبَت الكلمة بصورة غير معهودة اليوم فقد يصعب على القارئ إدراك المعنى المطلوب عند الكاتب من ظاهر الكلمة لكونها مكتوبة بشكل غير مألوف عند الكُتَّاب ، وكأنَّ الكاتب بكتابته يُرغِمُ القارئ على أداء الكلمة على أسلوب غير مطلوب لدى الكاتب أصلاً ، وتحصل هذه الظاهرة إذا كان القارئ عالماً بقواعد الإملاء والترقيم .

الفرق بين إملاء اليوم والإملاء القرآني :

إنَّ الله عز وجل أنزل آخر الكتب السماوية بهذه اللغة المباركة تشريفاً وإكراماً لها ، وكأنه تعالى قضى باستدامتها من خلال إنزال القرآن الكريم بها إلى يوم القيامة ؛ لأنَّ القرآن باق أبداً فكأنَّه وَعَدَ بإبقاء لغة الضاد إلى يوم القيامة حيةً على حالها . وكما أن المسلمين قاموا بالحفاظ على لفظ القرآن ومعناه فكذلك وحفظوا الإملاء القرآني من

حين نزوله إلى هذا اليوم ، ولم يتحملوا أدنى تغير ولا تبدل فيه أصلاً في زمن من الأزمنة ، واتضحت لنا من ذلك أهمية الإملاء في اللغة العربية كل الاتضاح .

وكما علم أن العلماء جعلوا الإملاء القرآني خاصاً به دون غيره من الكتابات العربية ، وأخذوا يكتبون بالإملاء الذي يسهل على عامة القراء فهمه وقراءته ؛ حيث التزموا بكتابة الكلمات كقراءتها ، كما أن كلمة " الصلوة " كتبت في المصحف الشريف بالواو ؛ لأن كاتبي الوحي ضبطوها كذلك ؛ لكنها تُكتب في الكتابة العربية العادية بالألف " الصلاة " إذ تقرأ بالألف فضبطت بها أيضاً . وكذلك كلمة " كتب " ورد ضبطها في المصحف بالتاء فوقها الألف ولكن الكتابة العربية اليوم تأبى إلا ضبطها بالألف بعد التاء . وهناك كلمة " النفثت " نُقل ضبطها بالألف فوق الثاء والفاء مع أنها صيغة الجمع المؤنث السالم ، لكنها تكتب بصورتها المقروءة ، وهي " النفاثات " وأيضاً كلمة " اليل " تضبط في رسم القرآن بلام واحدة إلا أنها تضبط باللام المضاعفة في الإملاء المعاصر فلابد من مراعاة الفرق بين نوعي الإملاء لئلا يختلط الحابل بالنابل .

التوجيه السابع : تحسين الخط :

لقد استشرى الإهمال والغفلة بين أوساط الطلاب في تعلم الخط الصحيح ، وينبغي للطلاب أن يتعلموا الخط الصحيح بحيث يتمكن القارئ من فهمه دون مشقة إن لم يتعلم جميع أسرار الخط والكتابة ؛ إذ قد يقع القارئ في الفهم المغلوط لسوء خط المكتوب ، وقد كان العلماء والكُتَّاب يبذلون جهودهم في تحسين الخط ، فكان القارئ يشتهي أن يقرأ ما كتبوه ، ولكنَّ الزمان قد تجدَّد الآن وانقلبت الآية ، وغدا الناس يكتبون أكثر كتاباتهم بالأجهزة الحديثة كالحاسوب المحمول وجهاز الجوال المتطور ، وأسفر ذلك عن ازدياد نسبة الخط السيئ بين العلماء والدهماء ، ومع كل ذلك فإنَّ الحاجة داعية لتعلم الخط اليدوي ، إذ لا يمكن أن يتوفر للإنسان الأجهزة الحديثة في كل آن ومكان مهما تقدم الزمان وتطور .

وقد علم من ذلك حق العلم أن تحسين الخط ركن من أركان اللغة ؛ ومن ثم لا يمكن الإغفال عنه .

ونعم ما قاله الشاعر مخاطباً لمن يتعلم الأدب :

تعلَّم قِوَامَ الـخَـطِّ يا ذا التأدُّب فـمـا الـخـطُّ إلا زيـنـةَ المتأدِّب

فإن كنتَ ذَا مالٍ فـحَظُّك وَافِرٌ وإن كنتَ محتاجًا فأفضل مَكْسَبٍ

التوجيه الثامن : كسب المهارة في الحوار والمحادثة :

إنَّ المحادثة الحرة والحوار العملي الواقعي الخالي من التكلف والتصنع في اللغة العربية من إحدى المهارات الأربع الأساسية الذي بها يقدر على التغلب على العربية ؛ ولذلك على كل من أراد تعلم النطق بالعربية أن يجعل لسان الحوار اليومي والمحادثة العامة ، ولا يخش أو يستح فيه أحداً ، وعليه أن يمارس التعبير الارتجالي عما يجول على خاطره بالخطابة العربية عن ظهر القلب مهما أخطأ ، فإذا التزم بذلك في كل وقت وكل مكان ، انطلق لسانه بسهولة ويسر دون صعوبة وتعب ، وبأسرع وقت ممكن ، ولكنه لو لم يلتزم بالنطق بالعربية حياءً أو خوف الوقوع في الأخطاء لتَعَذَّر عليه تعلم النطق السليم الصحيح ، ولست مبالغاً إن قلت : لا يمكنه أن يتعلم إلا ما قدر الله له ذلك .

التوجيه التاسع : تصحيح التلفظ والأداء :

ينبغي لمن يتعلم العربية أن يهتم اهتماماً كبيراً بتصحيح الألفاظ العربية وأدائها على وجهها الصحيح ، والاحتياج إلى ذلك أشد في تعليم العربية من غيرها ؛ لأن من ميزات العربية أنَّ ناطقيها (العرب العاربة والمستعربة) كلهم متعودون على الأداء الكامل والتلفظ الصحيح بصورة طبيعية .

وقد ألَّف العلماء قديماً وحديثاً كتباً كثيرةً حتى ظهرت مكتبة زاخرة بما كُتِبَ في ذلك قديماً إلى أنَّ هناك مؤلفات عظيمة بمجلدات كثيرة في علم التجويد بما فيها بيان وشرح لأداء كل كلمة من القرآن الكريم على وجهها الصحيح . ويحق لنا أن نقول : إنَّ أي لغة من لغات المعمورة لم تعتزَّ باهتمام في تصحيح ألفاظها وطرق أدائها كاهتمام المتحدثين بالعربية بها ، وبيان مخارج حروفها وأصواتها وسائر حالاتها بياناً تطبيقياً دقيقاً ، ونظراً إلى ذلك يؤسفنا كل الأسف أننا نجد كثيراً

من ناطقي العربية لا يكادون يفرقون بين الثاء والسين والضاد والذال والزاء والظاء ، وينطقون بكلمات العربية نقطَهم بالأردية أو الإنكليزية بصورة مشوَّهة ، فذلك عار وشنار لمن فعل ذلك أو لا يلقي له بالاً .

التوجيه العاشر : الأخذ بلهجة العرب وتصحيحها :

إنَّ كل لغة من اللغات يتطلب تعلمُها رعاية اللهجة نطقاً وقراءةً وأداءً لنبرات الصوت فيها ، واتخاذ أسلوب مألوف فيها عند أهلها بقدر الإمكان ؛ فإنَّ المتحدث بلغة ما إن لم يكن من أهلها عليه أن يحاكي الناطقين بها بأسلوب مصطنع إلى مدة يسيرة ، وقد يستشعر الناطق بها بالمتعة التامة واللذة الفائقة لدوافع وبواعث الحب والولوع باللغة العربية ؛ فإنه إذا تحدث بالعربية فليكن في باله أنها لسان الرسول الحبيب المصطفى – صلى الله تعالى عليه وسلم – ويحسب أنه ينبغي النطق بالعربية كما ينطقها أهلها ، ويرجى من الله كل الرجاء أن تصل هذه الأحاسيس بالناطق الملتزم إلى انطلاق اللسان وسيلان قلمه في الكتابة والتحرير لا محالة إن شاء الله .

تعلّم اللهجة العربيَّة بقنوات الإعلام :

إنَّ اللهجة العربيَّة الصحيحة نطقاً لا تتأتى إلا بملازمة العرب وصحبتهم ، والعيش معهم مدةً كافيةً ولاسيما صحبة العرب المثقَّفين منهم ؛ إذ لا يمكن التغلب على اللهجة العربية دون ذلك ؛ ولكن من الصعب أن يتسنى للأعاجم أمثالنا – الذين يعيشون في شبه القارة الهندية من الراغبين في العربية – ملازمةُ العرب الفصحاء الأقحاح ؛ نعم ثمة سبيل إلى ذلك نظراً إلى نشأة معطيات العصر الحديث ، وهو أن يسمع الناشئ نشرة الأخبار اليوميَّة عبر القنوات العربية ؛ لأنها تَنشر الخطب والمواعظ لعلماء العرب والمواد الشعريَّة غالباً ، وما إلى ذلك من الوسائل المعينة على تعليم اللهجة العربية الأصيلة .

ومن أهم القنوات العربية محطة " الرافدين " ، فإنَّ لغتها فصيحة وبليغة جداً ، ومن الجدير بالذكر القناة الصادرة من دولة الجزائر المسماة بـ " الجزيرة " حيث تُنشر الأخبار باللغة العربية الفصحى ، وكذلك قناة نشرة الأخبار من مكة المكرمة الموسومة بـ " القناة العربية " ، وقد يزيد عدد القنوات على حد الإحصاء والاستقراء .

عبد العزيز الميمني

في كتابات أبي الحسن علي الندوي وناصر الدين الأسد

بقلم : الدكتور فيصل نذير *

اعترف العالم بعبقرية علماء الهند ، وقد استفاد من كتبهم القيمة ، وإبداعاتهم النيرة ، ومؤلفاتهم الخالدة في الأدب والحديث والتفسير . ولذلك نجد ذكريات علماء الهند في خطابات الأدباء العرب وكتاباتهم . وحينما نتكلم ونتعارف مع العرب نجدهم يذكرون ويشيدون بكتاباتهم وتحقيقاتهم . وهذا يملأ قلوبنا بالفرحة والفخر والابتهاج . وهكذا حدث معي حينما كنت أطالع الأديب الأردني ناصر الدين الأسد الذي نال شهرة بكتابه القيم " مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية " فوجدته هو دائماً يذكر ويقتبس من كتابات الأديب الهندي عبد العزيز الميمني (١٨٨٨ – ١٩٧٨م) والإمام أبي الحسن الندوي (١٩١٣ – ١٩٩٩م) . يروم هذا البحث استجلاء الضوء على كتابات أبي الحسن علي الندوي والمحقق الأردني ناصر الدين الأسد ، كلاهما فازا بجائزة الملك فيصل العالمية ، والشيخ أبو الحسن علي الندوي فاز بها عام ١٩٨٠م ، وناصر الدين حصل على هذه الجائزة عام ١٩٨٨م .

عبد العزيز الميمني :

ولد عبد العزيز بن عبد الكريم بن يعقوب الميمني الراجكوتي الأثري (١٣٦٠ – ١٣٩٨هـ) (١٨٨٨ – ١٩٧٨م) ببلدة راجكوت ، ومنها جاءت نسبته الراجكوتي ، وهي تقع في ولاية غوجارات ، ونشأ في بيت عريق في التجارة . التحق عبد العزيز الميمني بالمدرسة الابتدائية ، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الحكيم . ثم أتم دراسته العالية في " لكهنو " و " رامبور " و " دهلي " ، والتقى بعديد من العلماء ، أمثال الشيخ حسين بن محسن الأنصاري الخرزجي السعدي (١٢٤٥ – ١٣٢٧هـ) وقد أجازه برواية الحديث النبوي ، ونذير أحمد الدهلوي (١٢٤٧ –

* الجامعة الملية الإسلامية ، نيو دلهي . (الهند) faisalnzr40@gmail.com

١٣٢٠هـ/ ١٨٣١ – ١٩٠٢م) ، ومحمد طيب المكي (١٣٣٤هـ) . وشغف الميمني بالعربية ، فتعمق فيها وانكب على الشعر العربي قراءةً وصيانةً ، حتى إنه حفظ ما يزيد على سبعين ألف بيت من الشعر القديم ، وكان يحفظ ديوان المتنبي كاملاً . ولد عبد العزيز الميمني في نفس عام ولد فيه العالم الكبير ومفسر القرآن والمناضل الهندي مولانا أبو الكلام آزاد (١٩٨٨ – ١٩٥٨م) ، وبدأ الميمني حياته بالكلية الإسلامية ببشاور ، باكستان . حيث قام بتعليم العربية والفارسية ، ثم رحل منها إلى الكلية الشرقية بمدينة لاهور ، ثم استقر في جامعة عليكره الإسلامية ، وظل يتدرج بها في المناصب العلمية حتى عين رئيساً للأدب العربي بالجامعة ، ولبث بها حتى التقاعد . فلم يقعد حتى تلقى رسالة الدعوة للالتحاق بجامعة كراتشي كمدرس ، فلبَّى دعوة جامعة كراتشي ، بباكستان ليتولى رئاسة القسم العربي ، وأسندت إليه مناصب علمية أخرى ، فتولى إدارة معهد الدراسات الإسلامية لمعارف باكستان ، ولم يزل يعمل في هذه الجامعة حتى وافته المنية في باكستان .

والحقيقة أن أعماله الأدبية قد زادت عن ثلاثين تأليفاً وتحقيقاً ، منها :

سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، هو كتاب شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري ؛ نسخه وصححه وحقق ما فيه وخرجه وأضاف إليه عبد العزيز الميمني . أبو العلاء وما إليه لابن رشيق القيرواني ، الوحشيات لأبي تمام ، الطرائف الأدبية ، ديوان حميد بن ثور ، ديوان سحيم عبد الحسحاس ، ديوان الشنفرى ، ديوان إبراهيم بن العباس الصولي ، الفاضل للمبرد ، فائت شعر المتنبي ، رسالة المشكلة للمعري ، خلاصة السير للطبري ، ديوان الأفوه الأودي ، المداخل لأبي عمر الزاهد ، مقالة لابن فارس ، إقليد خزانة الأدب ، الزهر الجني من رياض الميمني ، التنبيهات على أغاليط الرواة للبصري وغيرها .

ولم ترو خزائن الكتب في القارة الهندية غليله العلمي ، فاتجه إلى البلدان العربية مثل دمشق والقاهرة ، وكذلك تركيا سنة ١٣٥٤هـ – ١٩٣٦م بحثاً عن المخطوطات ، فطاف بخزائن إستانبول وزار مكتباتها التي تضم أكبر مجموعة خطية من التراث العربي . وزار القاهرة وتوثقت صلته بعلماء مصر والأزهر الشريف ، صادق مع أحمد أمين ، ومحمود محمد شاكر وغيرهما من الأدباء الكبار والعملاق ، واتصل بلجنة

التأليف والترجمة والنشر التي كان يرأسها الأديب الكبير أحمد أمين . ثم زار سوريا ، واستعانت به وزارة الثقافة بدمشق للاستفادة من خبرته في مجال المخطوطات . وكان المجمع العلمي العربي بدمشق قد اختاره عضواً مراسلاً به في سنة (١٣٤٧هـ – ١٩٢٨م) وهو في الأربعين من سنه تقديراً لنبوغه التحقيقي ، ومعرفته العميقة بالعربية وآدابها ، وظل في المجمع خمسين عاماً أو أكثر .

وخلاصة القول أن العلامة عبد العزيز الميمني أوقف حياته في البحث عن التراث العربي وغربلته وتمحيصه ونشر نوادره . وقد جمعت مقالاته وبحوثه في اللغة والأدب بعد وفاته في مجلدين تحت عنوان " بحوث وتحقيقات " قام عليها الدكتور محمد عزير شمس ومحمد اليعلاوي ، وقدم له شاكر الفحام في عام ١٩٩٥م ، ونشرته دار الغرب الإسلامي ببيروت . وقد أكرمته حكومة باكستان مرتين بوسامين : أولاً منحته " وسام الرئاسة " تقديراً لخدماته وجهوده الموقرة في العلم والأدب وإحياء التراث العربي القديم عام ١٩٦٦م . وكذلك في أواخر حياته لقبته حكومة باكستان " شرف " (Pride of Performance) . كما أجرت له حكومة ولاية السند مبلغاً خاصاً كمنحة شهرية لسنتين " منحة جامعة الأزهر " لتكميل شهادة الدكتوراه شرفاً واعترافاً بعلمه وبخدمته اللغة العربية ، ولكن من العجيب إنه لم يكتب الدكتور مع تسميته أبداً .

أبو الحسن علي الندوي وناصر الدين الأسد :

الشيخ أبو الحسن علي الندوي يعرفه الحل والحرم ، ويعلمه كل قاص ودان ، وهو لا يحتاج إلى التعريف به ، وأما ناصر الدين فأعرّفه بالإيجاز ، ناصر الدين الأسد هو أديب أردني ومحقق وشاعر وسفير ، ولد عام ١٩٢٠م بالعقبة في الأردن . وتلقى تعليمه من القاهرة والقدس . وبدأت عليه الميول الأدبية منذ نعومة أظفاره ، وقام بكتابة رسالته البحثية تحت إشراف الدكتور شوقي ضيف (١٨٧٠ – ١٩٣٢م) ، من جامعة القاهرة وهي تعرف بجامعة فؤاد الأول من قبل . ونال شهرة واسعة على كتابه الشهير " مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية " ، وبعد ذلك أصبح ناصر الدين الأسد وزيراً للتعليم في الأردن ، وسفيراً لدى المملكة العربية السعودية ودولة ليبيا . كان العلامة من أبرز أعلام عصره في العلوم العربية ، والدينية ، ولاسيما في اللغة ، والشعر ، والتاريخ ، والتفسير ، والحديث . وهو يعد من منارات العلم في الأردن ، وقد اعترف معاصروه

بعبقريته وعلو كعبه في الآداب العربية ، وأثنوا عليه في حياته . لقبه أصدقائه وأقرانه بـ " الأسد الشجاع " و " الشاب الثمانين " .

ترك ناصر الدين الأسد آثاراً قيمةً ، ومؤلفات عديدةً ودراسات نادرةً تأليفاً وتصنيفاً تحقيقاً وتهذيباً ، منهم : مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، نُشر من دار المعارف بمصر لأول مرة عام ١٩٥٥م . والقيان والغناء في العصر الجاهلي ، النحل والوضع في الشعر الجاهلي : آراء المستشرقين ، الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن ، الشعر العربي الحديث في فلسطين والأردن حتى عام ١٩٥٠م . نحن والآخر صراع وحوار . نحن والعصر مفاهيم ومصطلحات إسلامية . نشأة الشعر الجاهلي وتطوره : دراسة في المنهج . تحقيقات لغوية ، محمد أحمد الأسد : سيرة وثائقية . الجراد في التراث العربي . ألفاظ من القرآن الكريم ، محمد روحي الخالدي : رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين ، خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين . الموسوعة الفلسطينية الميسرة . وقعة أجنادين أول وقعة عظيمة بين المسلمين والروم . تصورات إسلامية في التعليم الجامعي والبحث العلمي . تاريخ نجد .

قد كتب العلامة الميمني دراسات قيمةً على أشعار أبي العلاء المعري وشخصيته ، وبلغ بسبب كتاباته وتحقيقاته وقوة غربلته إلى هذه القمة من الشهرة والصيت والتقدير العظيم من النائي والداني . والأستاذ الميمني يُعد من أعلام الأدب العربي ومآثره ومفاخره في شبه القارة الهندية لخدماته العلمية العظيمة المشكورة . وكتب عبد العزيز الميمني هذه الكتب الآتية حول شخصية أبي العلاء المعري :

- كتاب أبو العلاء وما إليه .
- فائت شعر أبي العلاء .
- رسالة المشكلة للمعري .

وكتب الشيخ أبو الحسن علي الندوي مقالةً تعريفاً بجهود الميمني في نفس المجلة " المجمع العلمي العربي " عام ١٩٨٥م – ١٤٠٥هـ ، وهو يرجح ويؤثر أعمال العلامة عبد العزيز الميمني على أعمال العميد طه حسين . هذه المقالة التي نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي مملوءة بالمشاعر الصادقة والجياشة ، وهو يبين أن تحقيق عبد العزيز الميمني أهم وأدق من تحقيق طه حسين . كما نعلم أن عميد اللغة العربية قد ألف " تجديد ذكرى أبي العلاء " ، وكذلك كتب " مع أبي العلاء في سجنه " .

وأن أطروحته الثانية كانت على موضوع " ذكرى أبي العلاء " وكمل الدكتوراه عام ١٩١٤م من فرنسا .

رأي الشيخ أبي الحسن علي الندوي عن عبد العزيز الميمني :

وجدت مقالة الشيخ أبي الحسن علي الندوي حول شخصية عبد العزيز الميمني في كتابه الشهير " *پرانے چراغ* " (المصابيح القديمة) . ونفس المقالة ترجمت ونشرت في مجلة المجمع العلمي الهندي عام ١٩٨٥م التي تصدر من جامعة عيلكراه ، ولكن اسم المترجم لم يذكر ؛ فربما ترجمها الشيخ الندوي رحمة الله عليه من نفسه . يقول أبو الحسن علي الندوي : إنه كان دائماً يشاهد ويقرأ مقالات العلامة الميمني التي كانت بشكل دائم تنشر في مجلة المجمع العلمي بدمشق ، ولكن كانت هذه المقالات حول البحث العلمي الدقيق والعميق ، ولذا كان أبو الحسن الندوي لا يرغب في قراءة هذه المقالات الجافة [١] . ولكن الشيخ الندوي يعترف بغزير علمه وإنتاجه وبرحابة صدره ، ويفضل العلامة الميمني على طه حسين ، بأن تحقيق عبد العزيز الميمني هو أدق وأهم وأجيد وأحكم من تحقيق وكتابات العميد ، ويقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني رحمه الله :

" كان الدكتور طه حسين يعتبر سنداً يعتمد عليه في البحث عن المعرى ، وكان الدكتور يشبه المعرى جسمياً وفكرياً ونفسياً ، وكان لكتابه " ذكرى أبي العلاء " دوي في الشرق يتغنى به طلاب الأدب ، ولكن كتاب العلامة الميمني فاقه درجات ، وقد عرف طه حسين بسحر أسلوبه ونغمه الموسيقي الحلو ، ولكنه لم يكن باحثاً يهتم بتهذيب اللغة والشعر وتصحيح ومقابلة النسخ الخطية القديمة وغربلة الروايات للتمييز بين الصحة والخطأ لأن هذه العملية تحتاج إلى بصيرة نافذة وبصارة حادة وبذل جهود مضنية وصبر وأناة ، ولم يكن طه حسين – رغم مكانته العالية – متصفاً بهذه المزايا " [٢] .

يلاحظ العلامة الندوي أن التحقيقات والأعمال التي قام بها عبد العزيز الميمني لم يكن من اتساع طه حسين ، رغم غزير إنتاجه وسيطرته على موضوع فلسفة أبي العلاء ، لأن أطروحته للدكتوراه كانت على هذه الشخصية . مع ذلك الأعمال التحقيقية والمهمة تحتاج إلى

---

[١] أبو الحسن علي الندوي ، *پرانے چراغ* ، حصه دوم ، ٢٠١٠م ، مكتبه فردوس ، لكهنؤ ، ص ٢٠٩ – ٢١٨ .

[٢] أبو الحسن علي الندوي ، مجلة المجمع العلمي الهندي ، ١ يونيو ١٩٨٥م ، الهند ، ص ٣ .

صبر وأناة وبصارة وبصيرة ، والعميد طه حسين كان ضريراً ، لم يكن من متسعه على أن يقوم ما قام به العلامة عبد العزيز الميمني من التحقيق والتنقيح .

تقدير ناصر الدين الأسد بعبقرية الميمني :

والأساس المهم في هذه المقالة البحثية هو مقالة ناصر الدين الأسد نشرت في مجلة المجمع العلمي الهندي التي تصدر من جامعة عليكره الإسلامية ، وتاريخ إصدارها موجود وهو عام ١٩٨٥م . وهذا العدد الخاص حول شخصية العلامة عبد العزيز الميمني والراجكوتي مصدر مهم على شخصيته النبيلة الشريفة . في هذا العدد لمجلة المجمع العلمي الهندي نجد مقالات كبار علماء الهنود وانطباعات أساتذته وتلاميذه ورفقائه وزملائه . فيه مقدمة الشيخ أبي الحسن علي الندوي ، ومقالة الدكتور راشد الندوي ، ومقالة سعيد الأفغاني ، ومقالة حمد الجاسر ، وانطباعات السيد محمد يوسف ، ومقالة مسعود عالم الندوي ، ومقالة جميل أحمد ، ومقالة إبراهيم السامري وغيرهم من العلماء والأدباء . ناصر الدين الأسد يعترف ويتأسف بأنه ما لقي حظاً للقاء هذا الأديب اللبيب والمحقق المفلق ، ويقول في مقالته :

" لم يسعدني الحظ بمعرفة العالم المتبحر الشيخ الجليل عبد العزيز الميمني معرفة لقاء وعيان ، وإن كنت قد عرفت عنه الكثير من خلال ما قرأت له من مقالات وبحوث ، ولا سيما ما حققه من كتب الأدب نثره وشعره ، ومن خلال ما كنت أسمع عنه من أساتذتي وبعض زملائي الذين عرفوه من كتب ، فكانوا يثنون عليه أطيب الثناء حين يجرى ذكره على لسان متحدث منهم في أحد مجالسنا فيبادر عارفو فضله من الحاضرين إلى الإشادة بمناقبه ومزاياه في الخلق والعلم ولطالما شوقني ما قرأت له وسمعت عنه إلى لقائه ليصبح ملء عيني كما كان ملء سمعي وملء نفسى " [١] .

يقول الأسد هو كان دائماً يريد أن يكتب عن مجهودات العلامة والدراكة الميمني ، ويشيد بعلمه وغربلته ويثني على جهده وجهاده واجتهاده ، ولكنه انتقل إلى جوار ربه قبل أن يلقاه ناصر الدين . فضلاً عن كتاباته ومؤلفاته ومقالاته المنشورة المستمرة في عديد من المجلات

---

[١] المجمع العلمي ، ص ٣٦ .

بدمشق والقاهرة ، عرف ناصر الدين الأسد العلامة الميمني بواسطة الأديب المصري محمود محمد شاكر (١٩٠٩ – ١٩٩٧م) . ويعتبره الأسد كالشقيق الحميم ، في عام ١٩٦١م حينما رجع ناصر الدين الأسد إلى القاهرة من ليبيا ، وهو كان عميد كلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية بعاصمة بن غازي لعامين . عادت صلته القديمة مع محمود محمد شاكر ، وكان الأسد يزوره في مصر الجديدة في بيته ، فاستفاد من علمه وفضله ومجالسه . يتأسف ناصر الدين الأسد على عدم لقائه بهذا الأديب العبقري ، ومع أن الأسد كان في نفس البلد أو البلد المجاور ، ولكن صرفه الصوارف وحالت الحوائل والأشغال عن لقائه مع الميمني . وحينما توفي هذا الأديب فتأسف ناصر الدين تأسفاً شديداً وتحسر . وفي الحقيقة استفاد ناصر الدين من تحقيق الميمني واستخراجه ، فكان الأسد معتاداً به بواسطة مؤلفاته وتحقيقاته القيمة . ووجد في كتاباته النبوغ الفكري والإبداع اللغوي . يقول الأسد : كان محمود محمد شاكر يذكر العلامة عبد العزيز الميمني ليلاً ونهاراً ، وفي كل كلامه العلمي يأتي ذكر العلامة عبد العزيز الميمني ، لاحظوا هذه القطعة :

" وجدت أكثر أماسي الأستاذ محمود شاكر ولياليه مملوءةً بذكر العلامة الميمني وباستكمال ما كان عمله هذا العلامة الجليل من " كتاب الوحشيات لأبي تمام " . وكان أخي الأستاذ أحمد راتب النفاخ ملازماً لأستاذي محمود شاكر لا يكاد يفارقه ، يعينه على أجزاء من العمل في الوحشيات ، فأشار إليه في مقدمته للكتاب . أو من يقرأ هذه المقدمة يدرك عمق ما في نفس الأستاذ من محبة وإكباررللميمني حتى إنه لا يذكره إلا بعد قوله " أستاذي " [١] .

وناصر الدين الأسد أثنى على عديد من علماء وأدباء وفقهاء وفلاسفة الهند ، منهم غاندي ونهرو وآزاد وطاغور وغيرهم . هو دائماً قد اعترف بأرض الهند كأرض محترمة ومثمرة ومنجبة . ناصر الدين تعرّف على الميمني بواسطة ما استكمل العلامة الميمني من " كتاب الوحشيات " لأبي تمام . وكان الأستاذ محمود محمد شاكر يذكر عبد العزيز الميمني في كتاباته بـ " أستاذي " على هذا المدى ، هو كان يحترم العلامة ولسان الهند عبد العزيز الميمني وعبقريته .

---

[١] المصدر السابق ، ص ٣٨

ويعترف ناصر الدين الأسد في مقالته العلمية بإنجازاته ، ويقول : إن عبد العزيز الميمني من طبقة متميزة من السلف الصالح في تمثله لمناقبهم واقتدائهم في العلم والفضل . وإنه كان ذا ثروة ومال وكثير الترحال ، دائماً يجوب البلاد باحثاً عن النوادر والمخطوطات وكتب التراث العربي . كان الميمني الراجكوتي مملوءاً بالصبر والأناة في القراءة ، وهذه الميزة والسمة لازمة لمن يريد أن يسلك طريق البحث والتمحيص والغربلة . وكان حينما يطلع على أي مخطوطة علمية فكان يختارها للتعليق والتمحيص وشرح النسخ الخطية [1] . وفي نفس الصدد يعترف ناصر الدين الأسد بأن من يقرأ تعليقات ومقدمات كتب عبد العزيز الميمني فهو أيضاً يعترف بعملاقته وتبحره العلمي والتحقيقي ، ويقول متأكداً بأن الميمني من أوسع الناس اطلاعاً ومعرفة على مصادر تراثنا وأمهات كتبنا . وحسب انطباعي كان ناصر الدين الأسد مبهوتاً بعد قراءة مقدمة الكتاب " سمط اللآلي في شرح أمالي القالي " وعد هذا الكتاب من الغرائب والخزائن .

يحرز الأسد ويعترف عن ما فعله وحققه العلامة الميمني ويسطر في مقالته : " وأين هذا التمكن من المعرفة ، والتمرس بالعلم ، ومعالجة التحقيق والتعليق ، والاتصال الوثيق بالمصادر . والألفة الحميمة للمخطوطات " [2] . وخلاصة ما قاله البروفيسور ناصر الدين الأسد أن العلامة عبد العزيز الميمني كان أسوةً لأجيالنا الشباب ولعلمائنا الكرام ، في الحقيقة هو منارة علم لكل من يرغب في العلم بالمخطوطات والتراث .

المصادر والمراجع :

١. أبو الحسن علي الندوي ، *پرانے چراغ* . حصه دوم ، ٢٠١٠ ، مكتبه فردوس ، لكهنؤ .
٢. الأسد ، ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، ط ١ ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٩٦م .
٣. العلامة عبد العزيز الميمني حياته وآثاره وأسلوب بحثه وتحقيقه كتاب ١٢٨٥ .
٤. حياة الميمني كما رواها بنفسه ، مختار الدين أحمد ، المصدر مجلة المجمع العلمي الهندي ، العدد ١ – ٢ ، شوال ١٤٠٦هـ ، يونيو ١٩٨٦م .
٥. شاكر الفحام : عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، مجلة مجمع اللغة العربية ، المجلد ٥٤ ، الجزء الأول ، دمشق ، يناير ١٩٧٩م .

[1] المجمع العلمي ، ص ٤٢ .
[2] المصدر السابق ، ص ٤٣ .

التصوّر الذهني في الصناعة النحوية ودورها في اللغة العربيّة

(الحلقة الأولى)

إعداد : الباحث محمد أبو طه *

الحمد لله الذي جعل العربية لغة القرآن ، وجعل نبيه صاحب البلاغة والبيان ، والصّلاة والسّلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أمّا بعد : فقد كثر الحديث قديماً وحديثاً ، حول التصوّر الذهني في الصناعة النحوية ، وقامت حولها دراسات تناولت التصوّر الذهني في الصناعة النحوية وأسسها وأصولها وقواعدها ، ومشكلاتها وما خلّفته مِن آثار ، وموقف النحاة منها ، قدماء ومحدثين . أما القدماء فقد اقتنعوا بما صنعوا ، ولم يخرج عليها إلاّ نحويٌّ ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) في كتاب الرد على النحاة ، أما المحدثون فقد ارتفع أصواتهم بالجدل حولها والنقاش ، بين مؤيدٍ لها ، ومعارضٍ أنكرها وتم الرد عليها وحاول هدم أصولها أو وضع بديلٍ جديد من هؤلاء إبراهيم مصطفى [١] ، مهدي المخزومي [٢] ، وتمام حسان [٣] . وليس من مهمّة هذا البحث تناول هذه المحاولات أو الرد على المنكرين ؛ فقد تكفل بذلك كثير من الباحثين [٤] . وَتَقُوْمُ هذه الدراسة ، في طريقة ما طرحنا من تساؤلات ، ظاهرة التصوّر الذهني في الصناعة النحوية ودورها

* كلية اللغة وآدابها ، بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

[١] مصطفى ، إبراهيم ، إحياء النحو ، د . ط ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٤م ، ص ٥٠ .

[٢] المخزومي ، د . مهدي ، في النحو العربي – نقد وتوجيه ، ط ٢ ، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٦م ، ص ٢٠٨ .

[٣] حسّان ، د . تمام ، اللغة العربيّة معناها ومبناها ، ط ٥ ، عالم الكتب ، القاهرة، ٢٠٠٧م ، ص ١٨٩ .

[٤] مجدوب ، د . عز الدين ، المنوال النحوي العربي – قراءة لسانية جديدة ، ط ١ ، نشر دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع وكلية الآداب والعلوم الإنسانية ، سوسة، ١٩٩٨م ، ص ١٧ ، ٧٣ ، ٢٨٢ .

في اللغة العربية ، وما تحتويه من ظواهر مختلفة . وقد انطلق البحثُ من بيان : أهميّة التصوّر الذهني في الصناعة النحوية في اللغة العربيّة [1] .

مفهوم التصوّر الذهني :

لغةً : التصوّر من صورة ، والصور بكسر الصاد جمع صورة ، صوّر الله صورةً حسنةً فتصوّر ، وتصوّرتُ الشيئ : توهمت صورته فتصوّر لي والتصاوير التماثيل [2] . والذهن هو الفهم والعقل ، والذهن أيضاً : حفظ القلب ، وذهنتُ كذا وكذا أي فهمته [3] .

اصطلاحاً : عرّفها عبد الباري بأنها : هي عبارة عن مجموعة من الصور أو المخططات العقلية التي يبنيها القارئ عن الموضوع المقروء [4] .

مفهوم الصناعة النحوية :

لعل نعت النحو بالصناعة مرده أنه علم ذو أصول وقواعد محكمة متقنة ، فالصناعة إحكام ، وإتقان ، ومنه قوله تعالى : (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) [النمل : ٨٨] أو على حد تعبير د . تمام حسان لأنهَ تتوافَر فيه خصائصَ العلم المضبوط : الموضوعية والشمول والتماسك والاقتصاد [5] ، ونعت بالصناعة وفقا لهذا التفسير ، والمصطلح معروف عند القدماء يقولون : (صناعة النحو) و (صنعة النحو) ، و (الصناعة النحوية) ، وممن استخدموا هذه المصطلحات أبو الفتح بن جني في تفسير قولهم (زيد قام) يقول : " فربما ظن بعضهم أن (زيداً) هنا فاعل في الصنعة كما أنه فاعل في المعنى " [6] ، ويقول لو كان الفاعل الصناعي هو الفاعل المعنوي

---

[1] الحلواني ، محمد خير ، أصول النحو العربي ، د . ط ، الناشر الأطلسي ،الدار البيضاء ، الرباط ، ١٩٨٣م ، ص ١٨١ – ١٨٧ .

[2] الإفريقى ، محمد بن مكرم بن على ، أبو الفضل ، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى ، لسان العرب ، (المتوفى : ٧١١هـ) ، (دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط ٣ ، ١٤١٤هـ) ج ٦ ، ص ٥٠ .

[3] لسان العرب ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٥٠ .

[4] عبدالباري ، ماهر شعبان ، استراتيجيات فهم القروء أسسها النظرية وتطبيقاتها العلمية ، دار الميسرة للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١٠م ، ص ٩٨ .

[5] حسّان ، د . تمام ، الأصول دراسة أبستمولوجية ، ط . الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٢م ، ٦٠ – ٦٤ .

[6] ابن جني ، أبو الفتح عثمان ،الخصائص ، تحقيق : محمد علي النَّجار ، ط ٢ ، عالم الكتب ، بيروت ، ٢٠١٠م ، ج ١ ، ص ٢٨٠ .

للزمك عليه أن يقول : مررت برجل تقرأ " [1] ، وابن مضاء في قوله " إن النحويين قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن " [2] .

أهمية الصناعة النحوية في اللغة العربية :

من المعلوم أنّ التصوّر الذهني في الصناعة النحوية لها دور هامّ في اللغة العربيّة ، ويعتبر هذه الظاهرة من الظواهر المهمة في اللغة العربيّة بل هي أبرز سماتها وأظهرها [3] .

فقد جاء في التاريخ القديم أنّ اللغة البابلية كانت ذات حركات إعرابية [4] ، إذ أنّ اللغة العربيّة قضت أكثر من ألفي عام ، وهي ذات حيوية في سجلات الحكومة ودواوينها وعلى ألسنة العلية من القوم . . وقد استعجمت في ألسنة العامّة من أهل الحواضر ، وكان أول شيئ أضاعته هو حركات الإعراب [5] .

فلا نستطيع أن ننكر تلك المقطعات والقصائد الجاهليّة التي كان من أبرز عناصرها الإعراب ، فالتفت إليه العلماء وعنوا به كثيرا واستخلصوا مناهجه استخلاصاً من القرآن والحديث وكلام الفصحاء من العرب ورتّبوها وصاغوها في صورة قواعد وقوانين [6] .

وعندما اختلط العرب بالأعاجم صار للناس لغةٌ في التخاطب لم يلتزم فيها بالإعراب ، مما حدا علماء العربيّة على أن يدعوا إلى الالتزام بما في النحو العربي من الصناعة النحوية بما في ذلك الحركات الإعرابيّة وعدم الإخلال بها ، وهنا نجد شيخ البلغاء عبد القاهر الجرجاني يقول في

---

[1] ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، المحتسب في وجوه شواذ القراءات ، تحقيق : د . عبد الحليم النجار وآخرون ، الطبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر ، القاهرة : ج ١ ، ص ٢٣٠ .

[2] ابن المضاء : الرد على النحاة : تحقيق : د . شوقي ضيف ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٩٤م : ص ٨٠ .

[3] فك ، يوهان ، العربيّة دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ، ط ٢ ، ترجمة د . رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ٣ .

[4] التواب ، د . رمضان عبد ، فصول في فقه العربيّة ، ط ٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص ٣٨٢ – ٣٨٤ .

[5] العالمي ، الشيخ أحمد رضا ، مولد اللغة ، د . ط ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د . ت ، ص ٧٩ – ٨٠ .

[6] وافي ، د . علي عبد الواحد ، فقه اللغة ، ط ١ ، دار نهضة مصر ، بيروت ، د . ت : ص ٢١٥ .

هذا الصدد : " اعلم أنْ ليسَ " النظمُ " إلا أن تضعَ كلامكَ الوضعَ الذي يَقتضيهِ " علمُ النحو " ، وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه ، وتعرفَ مناهجَه التي نُهجتْ فلا تزيغَ عنها ، وتحفظُ الرُّسومَ التي رُسمتْ لك ، فلا تُخِلَّ بشيئ منَها " [1] .

ويذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): " ولم يقتصر اللحن على الأعاجم الذين تكلموا العربية ولا على المدن التي كثر فيها الاختلاط بين العرب والأعاجم ، بل فشا بين العرب الأقحاح وبين أهل الأمصار التي تعتبر معقل العربية مثل المدينة . ولأهل المدينة ألسن ذلقة ، وألفاظ حسنة وعبارة جيدة ، واللحن في عوامهم فاش ، وعلى من لم ينظر في النحو منهم غالب " [2] . ومن المستبعد أن يتشكك أحدٌ في وجود التصوّر الذهني في الصناعة النحوية أو الإعراب في اللغة العربيّة " فالنصوص القرآنيّة وقصائد الشعراء وكلام المتقدمين فيما يعرض لروي القصائد من أقوياء وأقوال الفصحاء فيما يتعلق بحملهم على اللحن واللاحنين ثم إعمال النحاة وما بنوا عليه دراساتهم من اختلاف أحوال الكلمات حين تتألف الجمل ، كل أولئك كانت شواهد تأخذ بنا إلى القطع بوجود التصوّر الذهني في الصناعة النحوية ، وتضاف إلى ذلك القصص التي تروى عند البحث في نشأة النحو " [3] . وإن كان يظهر ويلوح حول صحة طائفة منها الشك لكنّها (تدلنا على وجود التصوّر الذهني في الصناعة النحوية أو الإعراب كما يعرفونه النحاة في كلام هؤلاء القوم في العربيّة الفصحى ، كما تدلنا في جانب آخر على أنّه لم يكن لغة سليمة لكل من تكلم العربّة بدليل وقوع اللحن الأعرابي في كلام هؤلاء القوم ومعظمهم من الموالي) [4] .

ما المراد بالصناعة النحوية عند اللغويين والنحاة ؟

لا يخفى على أحدٍ أنّ الصناعة النحوية تطلق على الإعراب ، والإعراب في اللغة الإبانة ، يقال : أعرب الرجل ، بمعنى (أفصح القول والكلام) [5] .

---

[1] الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ،ط ٣ ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م ، ج ١ ، ص ٨١ .

[2] الجاحظ ، عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ط ٧ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ج ١ ، ص ١٤ .

[3] البيان والتبيين ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٤٥ .

[4] السابق نفسه : ج ١ ، ص ١٤٥ .

[5] القزويني ، أحمد بن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب

دلالة الصناعة النحوية على المعاني :

لا يخفى أن المصادر تدلّ على أنّ العلماء كانوا يرون أنّ الصناعة النحوية دوالٌ على المعاني تعتور الأسماء ، وقد بيّنوا أنّ تحصيل المعنى من اللفظ لا يكون إلاّ بتمييز وجوه الصناعة النحوية إذا كان قد علم أن الألفاظ معلقة على مَعانيها حتى يكونَ الإعرابُ هو الذي يَفتحها ، وأنَّ الأغراضَ كامنةٌ فيها حتى يكونَ هو المستخرِجَ لها ، وأنه المعيارُ الذي لا يتبيَّن نقصانُ كلامٍ ورجحانُه حتى يعرضَ عليه ، والمقياسُ الذي لا يُعرفُ صحيحٌ من سَقيمٍ حتّى يرجع إليه ، لا يُنكِرُ ذلك إلاّ من يُنكِر حِسَّه ، وإلاّ مَنْ غالطَ في الحقائق نَفسَه [1] ؛ لأن الكلام كما يقول أبو حيان التوحيدي : " إن الكلام كَالجسم ، والنحو كالحيلة ، وأن التمييز بين الجسم والجسم إنما يقع بالحلي القائمة والأعراض الحالة فيه ، وأن حاجته إلى حركة الكلمة بأخذه وجوه الإعراب حتى يتميز الخطأ من الصواب كحاجته إلى نفس الخطاب [2] .

كيف تؤثر الصناعة النحوية في المعنى ؟ ونلجأ في هذا الصدد إلى رأي العلامة أحمد بن فارس القزويني (ت ٣٩٥هـ) ؛ لأنّه يوضحّ دور الحركة الإعرابية أو التصوّر الذهني في الصناعة النحوية في بيانِ المعنى وإيضاحه ، حيث يقول : " فأمّا الإعراب فبه تُميَّز المعاني ويُوقَف على أغراض المتكلمين ؛ وذلك أنّ قائلاً لو قالِ : " ما أحسنْ زيدٌ " غيرَ معرب أو " ضربَ عمرْ زيد " غير معرب لم يوقَف على مراده . فإن قال : " ما أحسنَ زيداً ! " للتعجب أن يريد به التعجب من حسنه ، أو " ما أحسنُ زيدٍ " للاستفهام يريد به الاستفهام عن أي شيئ منه أحسن ، أو " ما أحسنَ زيدٌ " للنفي أن يريد به الإخبار بنفي الإحسان عنه ، علمنا غرضه ، وفهمنا مغزى كلامه ، وذلك أبانَ بالوظائف النحوية عن المعنى الذي أراده . وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها : فهم يفْرُقون بالحركات وغيرها بين المعاني " . وكذلك أنّ تغيير حركة معينة يفسد المعنى المنشود والمستهدف كتغيير حركة لفظ (رسولُه) من الضم إلى الكسر في قوله تعالى : (إنَّ اللهَ بريءٌ مِنَ المشركينَ ورسولُهُ) [التوبة : ٣] فيه فرق يتوسط بين الصواب والخطأ

في كلامها ، تحقيق : محمد علي بيضون ، ط ١ ، ١٤١٨هـ ، ج ١ ، ص ٣٥ .

[1] دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، المرجع السابق ، ص ٢٨ .

[2] التوحيدي ، أبو حيان ، البصائر والذخائر ،ط ١ ، تحقيق : د . وداد القاضي ، دار صادر – بيروت ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨ م ، ج ١ ،ص ١٨٠ .

صوابه إيمانٌ وخطؤه كفرٌ [1] ؛ لأنَّ في جره فساد للمعنى .

التصوّر الذهني في الصناعة النحوية ومسوغاتها :

من المعلوم أنّ هذه السمات في الجملة العربية وُضعتْ بين أيدي النحاة ، وقد أطالوا النظر في تراكيب العربية ، مسوغاً للبحث عن طريقةٍ تضبط التغيرات وتربط مكونات الجملة وُتفسر نظامها ، وتعين على إدراك العلاقات بين عناصرها وما ينجم عن هذه العلاقات من آثار معنويةٍ ولفظية . وتتمثَّلُ هذه الطريقة في فكرة " العمل " ، وهي فكرة تقوم على ثنائية : العامل والمعمول ؛ فقد اصطلح النحاة على أن الكلمة إذا كانت طالبةً لغيرها كانت عاملة فيه ، وإذا كانت مطلوبة من غيرها كانت معمولةً له ، وهذا لا يعدو أن يكون عرفاً لغوياً [2] .

الأصول المستندة في تقعيد العربيّة في الصناعة النحوية :

النحاةُ اعتمدوا في تقعيد العربية ووصفوا بنيتها النحوية ثلاثة أصول شُكلّت مكوناً مْنهجهم ، وهي السماع والقياس والتّعليل . وإذا كانت أي نظرية بشكلٍ عام ، تقوم على " بناء عقلي يتوق إلى ربطٍ أكبرٍ عدد من الظواهر الملاحظة بقوانين خاصيّة تكون مجموعة مّتسقة يحكمها مبدأ عام هو مبدأ التفسير " [3] ، فإن السماع ، في النظرية النحوية ، كون المادة المدروسة التي " لا تشتمل على تجريد ؛ لأنها لا تتجاوز النقل والاستقراء " [4] . ونهض القياس بترتيب المادة المدروسة وتصنيفها وفقاً لضوابط توصل إلى الحكم ، وذلك بإخراج المادة المشّتتة في صورةٍ منظمة تساعد على وضع قواعد تصفه وتفسيرها . وجاء التعليل قسيماً للقياس والسماع " يتجاوز تقرير الظواهر النحوية إلى التماس حكمة العرب في الإتيان بها على هذا الوجه المخصوص " [5] .

ويشّكل العامل ، بَتضافره وتعاونه مع الأصول الثلاثة السابقة ، البنية العامة بالتصوّر الذهني في الصناعة النحوية ، ويكاد يْنعقد إجماع

---

[1] البصائر والذخائر ، المرجع السابق ، ص١٨٢ .

[2] محمد ، د . السيد أحمد ، تسليط العامل وأثره في الدرس النحوي ، ط ١ ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٩١م : ص ٥٨ .

[3] الفهري ، د . عبد القادر الفاسي ، اللسانيات واللغة العربية ، ط ٣ ، الدار البيضاء ، الرباط ، ١٩٩٣م : ص ١٣ .

[4] حسّان ، د . تمام ، الأصول ، ط ١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٩م : ص ٦٥ .

[5] الموسى ، د . نهاد ، في تاريخ العربية – أبحاث في الصورة التاريخية للنحو العربي ، ساعدت الجامعة الأردنية على نشره ، ١٩٨٦م : ص ١٢ .

النحاة القُدامى على أن ظواهر النحو في حركات الإعراب ، بمدلوليه المعنوي واللفظي ، ومتغيرات التراكيب ؛ إنّما هي آثار للتصوّر الذهني في الصناعة النحوية .

ما هي فكرة ظاهرة العامل في الصناعة النحوية ؟

من المعلوم أنّه لا يخفى على من لديه إلمام في النحو العربي أنّ فكرةَ التصوّر الذهني في الصناعة النحوية بدأتْ في ميدان البحث النَّحوي منذ النّشأة ، ويعتبر عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي (ت ١١٧هـ) مبدع هذا المنحى في الدرس النحوي ، على وْفق ما روى ابن سلام (ت ٢٣١هـ) [١] ، واحتذى هذا النهج عيسى بن عمر (ت ١٤٩هـ) ، فجّلى هذا الاتجاه في النظر النحوي البصري ، واتسع القول في العامل على يدي الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ، ويكاد يجمع المحدثون على أن سيبويه (ت١٨٠هـ) أولُ من أَنْهج سبيل القول في العامل ، وهم يذهبون إلى أن سيبويه قد أدار بحوث كتابه على فكرة العامل [٢] ، ثم تبعه النحاة من بعده .

وأما العامل فقد عرّفه الجرجاني بأنه " ما أوجب كون آخر الكلمة مرفوعاً أو منصوباً أو مجروراً أو ساكناً " [٣] ، وهذا باعتبار العلاقة بين العامل واللفظ . وعرّفه الرضى الأستراباذي بقوله : ما به يتَقوّم المعنى المُقتضِي " [٤] ، وهذا باعتبار العلاقة بين العامل والمعنى . ويفسر الرضي " التقوّم " بقوله : " العامل في الاسم ما يحصل بوساطته في ذلك الاسم المعنى المقتضي للإعراب ، وذلك المعنى كون الاسم عمدةً أو فضلةً أو مضافاً إليه العمدة والفضلة " [٥] ، فالعامل " مقوّم " والمعاني المقتضية هي التصوّر الذهني في الصناعة النحوية ، من مبتدأ وخبرٍ وفاعليةٍ ومفعولية . . . ، المتحققة بالعلاقة بين العامل والمعمول .

(للبحث صلة)

---

[١] الجمحي ، محمد بن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، السفر الأول ، ط ١ ، القاهرة ، د . ت : ص ١٤ .

[٢] موسى ، د . عطا محمد ، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في القرن العشرين ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن ، ١٩٩٢م : ص ١٤٥ – ١٤٦ .

[٣] الجرجاني ، عبد القاهر ، العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية شرح خالد الأزهري ، تحقيق البدراوي زهران ، ط ٢ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٨م : ص ٧٣ .

[٤] الاستراباذي ،رضي الدين محمد بن الحسن ، شرح الرضي على الكافية ، عمل : يوسف حسن عمر ، ط ٢ ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ١٩٩٦م : ج ١ ، ص ٧٢

[٥] المصدر السابق نفسه : ج ١ ، ص ٧٢ .

الشيخ خليل أحمد السهارنفوري
وكتابه بذل المجهود في شرح سنن أبي داؤد

د . محمد أكرم نواز الندوي *

إن تاريخ الهند حافل بنوابغ الرجال العباقرة الذين بذلوا أقصى جهودهم في نشر العلوم الإسلامية والعربية ونشر العلوم الشرقية ، وإن نظرة خاطفة في كتاب " نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر " للشيخ العلامة عبد الحي الحسني الذي يحتوي على تراجم ٤٤٠٤ من أعيان الهند ورجالها المسلمين المساهمين في مجال العلم هي خير شاهد على إنتاجهم وكثرة من نبغ فيهم ، وقد أصبحت شبه القارة الهندية في العهد الأخير مركزاً كبيراً للحديث النبوي الشريف ، والبارزون منهم الشيخ عبد الحق المحدّث الدهلوي ، والشاه ولي الله الدهلوي صاحب " حجة الله البالغة " ، والعلامة عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي ، وغيرهم كثيرين من جهابذة العلم .

ويرجع الفضل بعد هؤلاء المحدثين في العناية بهذا العلم السامي إلى الشيخ أحمد علي السهارنفوري (١٢٢٥هـ/١٨١٠م – ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م) ، فإنه ركز اهتمامه البالغ عليه ، فعلق على جامع الإمام البخاري وعلى الجوامع والصحاح الأخرى [١] ، ومن أعظم أعماله أنه قام بنشر علم الحديث وطبع كتب الحديث بعناية بالغة ، وزينها بالحواشي المفيدة ، وخاصة " صحيح البخاري " ، إلا خمسة أجزاء أخيرة فأكملها بأمر منه الشيخ محمد قاسم النانوتوي ، رئيس دار العلوم ديوبند [٢] ، وقد بقي

---

* أستاذ مساعد ، مركز الدراسات العربية والإفريقية ، جامعة جواهر لال نهرو ، نيو دلهي ، الهند .

[١] محمد زكريا الكاندهلوي ، " تاريخ مظاهر " ، ١/٤٠ – ٤٢ ، المجلد الأول ، كتب خانه ، إشاعت العلوم ، محله مفتي ، سهارنبور ، أترابراديش ، الهند ، ١٣٩٢هـ .

[٢] محمد زكريا الكاندهلوي ، مقدمة " أوجز المسالك إلى موطأ مالك " ، (الباب الثالث ، الفائدة الثالثة في سلسلة أسانيد المؤلف) ، ١/١٥٤ ؛ محمد شاهد السهارنبوري ، " علماءِ مظاہر علوم سہارنپور اور انکی علمی و تصنیفی خدمات " ، ١/٨٣ ، المجلد الأول ،

مشتغلاً بتصحيح " صحيح البخاري " زهاء عشر سنوات ، وبذل جهداً جهيداً في التعليق عليه ، وعلق المحدّث السهارنفوري الحواشي على " جامع الترمذي " ، و " مشكاة المصابيح " أيضاً [1] ، ونبغ بعده رجال كثيرون آخرون أنجبتهم المدرسة ، ومن أبرز هؤلاء :

ومنهم محمد يحيى الكاندهلوي (١٢٨٧/١٣٣٤هـ - ١٨٧١/ ١٩١٦م) [2] ، ومن آثاره " لامع الدراري " ، ومنهم المفتي ظفر أحمد التهانوي (١٣١٠ - ١٣٩٤هـ) صاحب " إعلاء السنن " في علم الحديث [3] ، ومنهم أشفاق الرحمن الكاندهلوي (١٣٠٩ - ١٣٧٧هـ) صاحب " الطيب الشذي شرح جامع الترمذي " ، و " كشف المغطأ عن رجال الموطأ " ، و " شرح شمائل الترمذي " ما إليها ، ومنهم محمد إدريس الكاندهلوي (١٣١٧/١٣٩٤هـ -١٨٩٩/١٩٧٤م) صاحب " التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح " وغير ذلك [4] ، ومنهم محمد زكريا الكاندهلوي (١٣١٥/ ١٤٠٢هـ - ١٨٩٨/١٩٨٢م) صاحب المؤلفات الكثيرة في علم الحديث ، ومن أبرزها : " أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك " ، ومنهم المحدِّث الكبير محمد يوسف الكاندهلوي (١٣٣٥/١٣٨٦هـ - ١٩١٧/١٩٦٥م) الرئيس الثاني لجماعة الدعوة والتبليغ في الهند ، ومن آثاره " أماني الأحبار في شرح معاني الآثار للإمام أبي جعفر الطحاوي " ، ومنهم عاشق إلهي البلند شهري (١٣٤٣ - ١٤٢٢هـ) ، ومن آثاره " العناقيد الغالية من

مكتبه يادكارِ شيخ ، سهارنبور ،أترابراديش ، الهند ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٥م .

[1] مناظر أحسن الكيلاني ، " سوانح قاسمي " ، (بهـ ١) ، ص ٢٦٢/١ ؛ محمد شاهد السهارنبوري ، " علماءِ مظاہر علوم سہارنپور اور انکی علمی و تصنیفی خدمات " ، ٩٥/١ ؛ محمد زكريا الكاندهلوي ، مقدمة " أوجز المسالك إلى موطأ مالك " ، (الباب الثالث ، الفائدة الثالثة في سلسلة أسانيد المؤلف) ، ١٥٤/١ .

[2] محمد عاشق إلهي الميرثي ، " تذكرة الخليل " ، ص ٢٠٦ ، المكتبة الخليلية ، سهارنبور ، أترابراديش ، الهند ، الطبعة الثانية ، ١٤١١هـ

[3] محمد شاهد السهارنبوري ، " علماءِ مظاہر علوم سہارنپور اور انکی علمی و تصنیفی خدمات " ، ٢٨٩/٣؛ عبد الشكور الترمذي ، " تذكرة الظفر " ، ص ٢٠٢ ، مطبوعات علمي كماليه، فيصل آباد ، باكستان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧م .

[4] محمد مياں الصديقي ، " تذكره مولانا محمد إدريس كاندهلوي " ، ص ٨٢ ، " تذكره مولانا محمد إدريس كاندهلوي " ، المكتبه العثمانيه ، الجامعه الأشرفيه ، لاهور ، ١٩٧٧م .

الأسانيد العالية " ، و " مجاني الأثمار من شرح معاني الآثار " باللغة العربية في " شرح معاني الآثار " للإمام الطحاوي [1] ، ومنهم محمد أيوب السهارنبوري المظاهري (١٣١٨/١٤٠٧هـ — ١٩٠٠/١٩٨٦م) الذي ألف " تراجم الأحبار من رجال شرح معاني الآثار " [2] ، ومنهم محمد يونس الجونفوري (من مواليد ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م) إن جميع مؤلفاته العربية في صورة المسودات ، وهي على قيد الطبع سوى كتابين ألفهما بالأردية .

ومن بين أبرز هؤلاء العباقرة الذين تخرجوا في مدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور ، محدثنا الكبير الشيخ خليل أحمد بن شاه مجيد علي ابن شاه أحمد علي السهارنفوري الذي كرس جل حياته في خدمة الحديث النبوي الشريف ، وهو الذي نحن سنتحدث عنه بوجه خاص في هذا المقال المتواضع .

ولد الشيخ خليل أحمد في أواخر صفر سنة ١٢٦٩هـ الموافق أوائل ديسمبر ١٨٥٢م في قرية " نانوته " من مديرية سهارنفور ، وفي عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٩م بدأت دروس دورة الحديث لأول مرة في مدرسة مظاهر العلوم [3] ، وانتهى من دورة الحديث في سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م ، والتحق بعد ذلك بقسم الفنون ، وانتهى من هذا القسم بالمدرسة في ١٢٨٨هـ/١٨٧١م ، وتولى مهمة التدريس بعد تكميله العلوم المتداولة بها على منصب مدرس مساعد ، وبعد عدة أشهر توجه إلى الشيخ فيض الحسن الأديب الذي كان آنذاك أستاذاً في جامعة لاهور وتلقى الأدب العربي تحت رعايته [4] .

وبعد العودة من الحج (الأول) لم يتوجه إلى " بوفال " ، فأقام بوطنه أياماً ، وتعين مدرساً في المدرسة الإسلامية بـ " سكندرآباد " من أعمال بلند شهر في شهر جمادى الأولى ١٢٩٤هـ/مايو ١٨٧٧م [5] ، ثم رحل

---

[1] محمد شاهد السهارنبوري ، " علماءِ مظاہر علوم سہارنپور اور انکی علمی و تصنیفی خدمات " ، ١٥٦/٤ .

[2] محمد أيوب السهارنبوري الطبيب ، " تراجم الأحبار من رجال شرح معاني الآثار " ؛ محمد شاهد السهارنبوري ، " تذکرہ دانشورانِ سہارنپور " ، ص ٣٦٨ — ٣٧٠ .

[3] محمد عاشق إلهي الميرثي ، " تذكرة الخليل " ، ص ٤٢ ؛ محمد ثاني حسني ، " حيات خليل " ، ص ٧١ — ٨٣ .

[4] محمد زكريا الكاندهلوي ، " تاريخ مظاهر " ، ١٩/١ و ٢١ — ٢٢ ؛ محمد عاشق إلهي الميرثي ، " تذكرة الخليل " ، ص ٤٠ — ٤٢ و ٦٨ ؛ محمد ثاني حسني ، " حياتِ خليل " ، ص ٨٩ — ٩٢ .

[5] محمد عاشق إلهي الميرثي ، " تذكرة الخليل " ، ص ١١٩ .

إلى مدينة " بهاولفور " للاشتغال بالتدريس في ١٢٩٥هـ/يونيو ١٨٧٨م ، ودرّس بـ " بهاولفور " أكثر من ١١ سنة ، ثم غادرها في ذي القعدة ١٣٠٦هـ الموافق يوليو ١٨٨٩م ، وتوجه إلى الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي [١] . وفي سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م بعثه الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي إلى القيام بالتدريس في مدرسة مصباح العلوم بـ " بريلي " [٢] وأقام بها سنتين تقريبا [٣] .

وانتقل إلى دار العلوم بديوبند على أمر من الشيخ الكنكوهي ، فعُيِّن مدرساً بها في سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩١م وبقي هناك ست سنوات [٤] ، ودرَّس بها " صحيح مسلم " ، و " توضيح التلويح " ، والجزئين الأخيرين من " الهداية " ، وكتباً في الأدب العربي ، وفي أثناء هذه الفترة قرأ الشيخ حسين أحمد المدني عليه " تلخيص المفتاح " [٥] .

ولما تولى الشيخ الكنكوهي مسؤولية الإشراف على مدرسة مظاهر علوم بسهارنبور في التاسع من ربيع الثاني ١٣١٤هـ/ ١٦ من سبتمبر ١٨٩٦م ، أمره شيخه الكنكوهي أن يتولى رئاسة هيئة التدريس بالمدرسة في الخامس من جمادى الأخرى [٦] سنة ١٣١٤هـ/ ١٠ من نوفمبر ١٨٩٦م وكان عمره ٤٥ سنةً ، وكان مدير المدرسة مولانا عنايت إلهي آنذاك [٧] .

---

[١] محمد عاشق إلهي الميرثي ، " تذكرة الخليل " ، ص ١٢١ – ١٢٥ ؛ محمد ثاني الحسني ، " حيات خليل " ، ١٣٢ – ١٣٣ .

[٢] كان الحافظ محمد جعفر خان من سكان حي " بازار كلان " (السوق الكبير) بمدينة " بريلي " ، ويتجر الثياب ، بايع الشيخ عبد الغني المجددي المتوفى ١٢٩٨هـ ، بقي يساهم في تنمية مدرسة مصباح العلوم بسعة الصدر . (محمد ثاني الحسني ، " حياتِ خليل " ، (هـ ٢) ، ص ١٥٠) .

[٣] محمد عاشق إلهي الميرثي ، " تذكرة الخليل " ، ص ١٥٥ – ١٥٦ .

[٤] محمد عاشق إلهي الميرثي ، " تذكرة الخليل " ، ص ١٦١ – ١٦٢ و ١٧٧ – ١٧٨ ؛ محمد ثاني الحسني ، " حيات خليل " ، ص ١٥٦ – ١٥٧ .

[٥] محمد عاشق إلهي الميرثي ، " حيات خليل " ، ص ١٥٨ – ١٦٠ ، " حياتِ خليل " ، المجلد الأول ، مطبوعه : تنوير بريس ، لكناؤ ، الهند ، ١٩٧٦م .

[٦] بموجب " تاريخ مظاهر " (لمحمد زكريا الكاندهلوي) ، ٧٢/١ – ٧٣ تولى مولانا خليل أحمد رئاسة هيئة التدريس بمدرسة مظاهر علوم في ٥ من جمادى الأخرى السنة المذكورة ، وبموجب تذكرة الخليل ص ١٨٩ – ١٩٠ في ٨ من جمادى الأخرى السنة المذكورة .

[٧] محمد عاشق إلهي الميرثي ، " تذكرة الخليل " ، ص ٦٩ و ٧٩ – ٨٠ و ١٨٩ – ١٩٠ ؛ محمد زكريا الكاندهلوي ، " تاريخِ مظاهر " ، ٦٥/١ و ٧٢ – ٧٣ ؛ محمد ثاني الحسني ، " حياتِ خليل " ، ص ١٧٥ .

وقام الشيخ خليل أحمد بخدمات تدريسية بمدرسة مظاهر العلوم لمدة ٣١ سنة من ١٣١٤هـ/١٨٩٦م إلى ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م ، ومن أهم الكتب التي درّسها هو خلال هذه المدة هي " تفسير البيضاوي " ، و " الهداية " ، و " نور الأنوار " ، و " مشكاة المصابيح " ، و " موطأ الإمام مالك " ، و " صحيح البخاري " ، و " سنن أبي داؤد " ، و " جامع الترمذي " ، و " صحيح مسلم " ، و " صحيح البخاري " وغيرها من الكتب الأدبية والإسلامية [١] .

وفي ٩ من جمادى الأخرى ١٣٢٣هـ/ ١٠ من أغسطس ١٩٠٥م توفي الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، وفي نفس السنة في أواخر شوال الموافق ديسمبر ١٩٠٥م زار الشيخ خليل أحمد الحجاز لأداء مناسك الحج والعمرة للمرة الثالثة ، وأثناء هذه الرحلة للحجاز ألقى دروس الحديث في بداية سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م في الحرم المدني حوالي ١٥ يوماً ، وأجازه خلال نفس الزيارة مفتي الشافعية الشيخ سيد أحمد البرزنجي أن يروي عنه بكل ما يجوز له روايته من جميع كتب الحديث وجميع الفنون المعقولة والمنقولة وفروعها وأصولها مشافهة ومكاتبة [٢] .

وتولى مسؤولية رئاسة المدرسة في شوال ١٣٣٥هـ الموافق أكتوبر ١٩١٧م ، وفي ١٧ من ربيع الثاني ١٣٣٦هـ/٣٠ من يناير ١٩١٨م تم انتخابه عضواً للمجلس الاستشاري للمدرسة ورئيسه [٣] .

لقد زار شيخنا هذا الحجاز لأداء مناسك الحج والعمرة سبع مرات ، فسافر في شوال ١٣٤٤هـ/ مايو ١٩٢٦م للمرة السابعة والنهائية ، وبقي بالمدينة المنورة مؤبداً حتى توفي يوم الأربعاء ١٥ من ربيع الثاني ١٣٤٦هـ الموافق ١١ من أكتوبر ١٩٢٧م ، ودفن في البقيع [٤] . تغمده الله بغفرانه وأسكنه بحبوحة جنانه .

• بذل المجهود في شرح سنن أبي داؤد • :

من أهم مآثره العلمية " بذل المجهود في شرح سنن أبي داؤد " الذي

---

[١] محمد عاشق إلهي الميرثي ، " تذكرة الخليل " ، ص ١٩٠ و ١٩٥ – ١٩٦ ؛ محمد ثاني الحسني ، " حيات خليل " ، ص ١٧٩ – ١٨٠ .

[٢] محمد ثاني الحسني ، " حيات خليل " ، ص ٨٧ و ١٩٩ – ٢٠١ .

[٣] " عالم اسلام کا مرکزی ادارہ جامعہ مظاہر علوم سہارنپور " لمحمد شاهد سهارنبوري ، " جامعه مظاهر علوم نمبر " ، ص ٢٢ ، أكتوبر – ديسمبر ، ٢٠٠٥ .

[٤] محمد عاشق إلهي الميرثي ، " تذكرة الخليل " ، ص ٣٥١ و ٤٢٦ ؛ محمد زكريا الكاندهلوي ، " تاريخ مظاهر " ، ٦٣/٢ – ٦٤ .

طُبع أولاً في خمس مجلدات طبعة حجرية عدة مرات ولكن الآن طُبع هذا الشرح في عشرين مجلداً ، والآن بذل الشيخ تقي الدين الندوي المظاهري جهده الكبير في خدمة هذا الكتاب بإخراجه أحسن إخراج .

ولقد قام بشرح " سنن أبي داؤد " كثيرٌ من العلماء السلف والخلف ، وكانت مساهمة علماء الهند في خدمة هذا الكتاب وشرحه مساهمة ملحوظة ، كشأنهم في خدمة علم الحديث عامة ، وخدمة الصحاح الستة خاصة ، فجاء الإمام المحدِّث خليل أحمد بشرح يحتاج إليه كل من حاول تدريس الكتاب من حل الأغراض ، وشرح الألفاظ ، واستنباط فقه الحديث من مواضعه ، والكلام الملخص المنقح في الرجال ، وشرح المتن بما تطمئن به القلوب . وكان الشيخ خليل أحمد يتمنى أن يكتب الشرح منذ شبابه ، ولما بلغ الشيخ أربعاً وستين سنة ، وذلك في سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٦م ، وفق شيخنا أن يبدأ هذا العمل المبارك .

وشرع في هذا الشغل الشاغل له مرات عديدة ، لكن نشاطاته التدريسية المكثفة حالت دونه كلما أراد ، وفي نهاية المطاف بدأ تأليفه في أوائل ربيع الأول ١٣٣٥هـ/ أواخر ديسمبر ١٩١٦م ، وكان قد بلغ من العمر ٦٤ سنة ، وتم شرح الجزء الأول في سلخ ذي القعدة ١٣٣٥هـ/ ١٥ من سبتمبر ١٩١٧م في ، وأكب على ذلك إلى أن رحل الشيخ خليل أحمد إلى الحجاز في شوال سنة ١٣٤٤هـ أخذ معه تلميذه النابغ الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي رغبة في أن يتحقق هذا الأمل المبارك في مرقد الرسول صلوات الله عليه ، وكان إكماله في مهبط الوحي في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ٢١ من شعبان ١٣٤٥هـ/ ٢٣ من فبراير ١٩٢٧م تحققت أمنيته الكبرى التي غذّاها بدم قلبه فتم الشرح ، وقد كانت مدة تأليفه عشر سنوات وخمسة أشهر وعشرة أيام ، وتم الكتاب في خمسة مجلدات كبار في ألفين من الصفحات بالقطع الكبير ، فكان له يوم عيد ، بل يوم ما جاء عليه يوم هو أكثر فرحاً وسروراً فيه من هذا اليوم ، فعيَّن يوماً (وذلك يوم الجمعة ٢٣ من شعبان ١٣٤٥هـ/ ٢٥ من فبراير ١٩٢٧م) لضيافة علماء المدينة وأحبائه وأصدقائه ، شكراً لله تعالى وإبداءً لسروره وفرحه ، وصنع أطعمة منوعة على طريقة أهل الحجاز ، وأخبر تلاميذه وأتباعه وأحباءه في الهند بهذا الموعد المبارك ليشاركوه في

السرور والشكر [1] .

إن هذا التأليف ليس شرحاً لسنن أبي داؤد فحسب بل يكاد يكون شرحاً لكتب الحديث بأجمعها ، فقد احتوى على دلائل الحنفية وما يعارضها وأجوبتها وعلى تحقيقات نادرة لا يساويه في الاحتواء على المذاهب ودلائلها شرح آخر من الشروح المتداولة في الأوساط العلمية ، ويمتاز بما لابد منه في الشرح من تحقيق أحوال الرواة وصحة الحديث وسقمه وحل المغلقات ، وقد اعتنى المؤلف بوجه خاص بحل أقوال مصنف الكتاب والكتاب خير ما يشار به على من أراد أن يكون عالماً محققاً وناقداً بصيراً بالحديث واسع الاطلاع على المذاهب والتحقيقات . وطُبع الكتاب عدة طبعات ، فطُبعت طبعته الأولى من قسم النشر والتوزيع لمدرسة مظاهر علوم بسهارنبور في حياة الشيخ السهارنبوري [2] ، ثمّ طبع في الإمارات العربية في مركز الشيخ أبي الحسن الندوي ، بعناية تقي الدين المظاهري الندوي ، في (١٤) مجلداً ،سنة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .

ميزات هذا الشرح :

والآن نحن نود أن نذكر ميزات هذا الشرح ، فإنما يعرف فضل هذا المجهود العلمي الجليل من باشر تدريس هذا الكتاب مدة طويلة فمنها :

- اهتم المؤلف بأقوال الإمام أبي داؤد صاحب الكتاب وكلامه في الرواة أو في إيضاح بعض ما ورد في الحديث اهتماماً كبيراً .
- وقام بجرح وتعديل لجميع الرواة ، والراوي الذي تكرر اسمه ذكر رقم الصفحة التي جاء فيها اسمه لأول مرة .
- قام بتوضيح مذاهب الأئمة الأربعة في كل مسألة ، ثم حكم بين الشارحين فيما اختلفوا فيه .
- وبعد أن قام بتحقيق المذهب الحنفي والإتيان بدلائل كافية في تأييده رد على دلائل المذاهب الأخرى أحسن الرد .
- والروايات التي ذكرها الإمام أبو داؤد تعليقاً أوصلها المحدِّث خليل أحمد إلى أسنادها بواسطة كتب الحديث الأخرى .
- والروايات التي وردت بالإيجاز في هذا الكتاب أشار إلى الكتب التي

---

[1] محمد عاشق إلهي الميرثي ، " تذكرة الخليل " ، ص ٢٧١ – ٢٧٣ .

[2] محمد شاهد السهارنبوري ، " علماءِ مظاہر علوم سہارنپور اور انکی علمی و تصنیفی خدمات " ، ٣/ ٧١ .

وردت فيها بالتفصيل .

- وقام بتقديم حل كاف ومقنع لـ " قال أبو داؤد " .
- واعتبر أقوال المتقدمين والسلف مصدر جميع أقواله ، وتجنب المخترعات والمحدثات كل التجنب .
- اهتم بأقوال الإمام أبي داؤد وكلامه في الرواة أو في إيضاح بعض ما ورد في الحديث بالغ الاهتمام .
- اهتم بتصحيح نسخ السنن المختلفة ، ويراه القارئ مثالاً في " باب افتتاح الصلاة " في حديث أبي حميد الساعدي .
- اهتم بتخريج التعليقات والفحص عنها اهتماماً بالغاً في كتب أخرى وذكرها ، وإذا لم ينجح في ذلك بعد التتبع صرح بذلك من غير تردد .
- قام بتطبيق الروايات بالترجمة ، وقد ظهرت في ذلك دقة فهمه وطول تأمله
- حكم في ما اختلف فيه الشُرّاح بما شرح الله له صدره ، وفتح عليه ، وتكلم بكلام فصل يثلج الصدر ويحل العقدة .
- إن معظم الكتب التي ألفت في الهند في شرح كتب الحديث ، أو في إثبات المذهب الحنفي ، أو في مسألة خلافية ، كان يغلب عليها في العهد الأخير الأسلوب الكلامي والاستدلال العقلي ، وتكثر فيها اللطائف العلمية ، ويقل فيها الكلام على الرواة والجرح والتعديل وعلل الحديث وطبقاته وما إلى ذلك من المباحث المتعلقة بالحديث الشريف . أما هذا الشرح فيمتاز بأنه كتب على نهج المشتغلين بالحديث والباحثين فيه وكبار الشراح الذين تلقت الأمة شروحهم بقبول عام . وقد استفاد المؤلف في هذا الشرح من تحقيقات شيخه الإمام المحدِّث مولانا رشيد أحمد الكنكوهي التي وردت أثناء دروسه ، وضبطها وقيدها تلميذه النابغة الشيخ محمد يحيى الكاندهلوي ، وكان من خصائصه أنه يتحرز بقدر الإمكان عن نسبة الخطأ إلى الراوي ، وإذا التجأ إليه الشراح ولم يجدوا في ذلك سبيلاً رجّح الشيخ العلامة تأويل ذلك بما يسيغه الفهم .
- لطائف الاستنباط التي يتضمنها هذا الشرح ويجدها القارئ منثورة في هذا الكتاب .
- ومن المباحث اللطيفة التي ظهرت فيها سلامة فكر المؤلف واطلاعه الواسع على كتب الحديث مسألة القسامة ، ويزول بكلامه اختلاف الروايات .

- ظهر جهد المؤلف وإمعانه في المواضيع المهمة لهذا الكتاب : أحاديث الفتن والملاحم ، وقد اجتهد في تعيين هذه الفتن التي أشير إليها في هذه الأحاديث ، واهتم بترجيح الراجح ، وعين بعضها باجتهاده واستقصائه ، ويرى القارئ مثالاً له في شرح كلام قتادة حيث جاء في الكتاب : " وكان قتادة يضعه على الردة التي في زمن أبي بكر على أقذاء ، يقول : " قذى وهدنة " ، يقول : صلح على دخن : على ضغائن " . وقد أشار في شرح حديثه إلى فتنة الشريف حسين بن علي ، فليراجع ذلك في حديث عبد الله بن عمر الذي جاء فيه : " ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع [1] ، وذكر ذلك في تفصيل ووضوح . ويظهر في كلامه في مثل هذه المناسبات ثقته بتحقيقه وجزمه بما توصل إليه في البحث والتأمل ، ولا يغلب عليه التواضع والتردد ، فيبعث هذا الجزم والثقة واليقين في نفس القارئ .

ملخص القول أن مدرسة مظاهر العلوم قد أنجبت عباقرةً من العلماء الإسلاميين والنوابغ من المحدثين الذين يشار إليهم بالبنان ، واعترف بفضلهم العلماء في العالم الإسلامي كله ، ونظراً لإحرازاتها الدينية والعلمية والفكرية والأدبية التي حققتها المدرسة عبر العصور أثنى عليها أعلام العالم الإسلامي إطراء الثناء والتقدير واعترفوا بخدمات جليلة قام بها خريجوها ، منهم سماحة العلامة والمفكر الإسلامي الشيخ أبو الحسن علي الندوي ، والعلامة المحدّث المحقق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، وسماحة العلامة أحمد بن عبد العزيز آل مبارك رئيس القضاء الشرعي بأبو ظبي (سابقاً) ، وسماحة الشيخ عبد الله العلي المحمود رئيس مركز الدعوة الإسلامية بالشارجة (سابقاً) ، وفضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف وشؤون الأزهر بمصر (سابقاً) ، وفضيلة الدكتور كامل سلامة الدقس رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة [2] .

---

[1] انظر : " بذل المجهود في حل سنن أبي داؤد " ، لخليل أحمد السهارنبوري ، كتاب الفتن والملاحم (١٢/ ٢٧٠ – ٢٧٧) .

[2] أبو الحسن علي الندوي ،" المسلمون في الهند" ، ص ١٠٥ و ١٠٦ ؛ محمد شاهد السهارنبوري ، " علماءِ مظاہر علوم سہارنپور اور انکی علمی و تصنیفی خدمات " ، ١/ ١٨١ – ١٨٢ ؛ تعريف موجز عن جامعة مظاهر علوم ، ص ١٢ – ١٦ .

وحنينه أبداً لأول منزل

أ . د . حسن الأمراني *

كنت تلميذاً لما وقع لي بيتان لأبي تمام ، قرأتهما في عدد من أعداد مجلة عربية ، وهما :

نقّلْ فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبّ إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يعشقه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل [1]

وقد أعجبني البيتان ، ولم أكن أفهم منهما غير ما يفهمه العامة ، أو من كانت بضاعته في الأدب مزجاة ، فمعنى البيتين ، على هذا ، متصل بالتعلق العاطفي الذي يكشف عنه البيت الأول ، ثم التدليل عليها بالبيت الثاني الذي يصور تعلق الإنسان ببيت الطفولة الأولى . وطرح القضية ثم التدليل عليها هو من أساليب أبي تمام ، كما تبينت ذلك من بعد .

وظل هذان البيتان لا يتجاوزان عندي هذا المعنى ، رغم أنه عرف عن أبي تمام التغلغل في المعاني والغوص عليها ، والتعلق بالغامض منها ، حتى إنه قيل عن شعره : إن كان هذا شعراً فكلام العرب الباطل . وقال له بعضهم : لم تقول ما لا يفهم ؟ فأجابه : ولم لا تفهم ما يقال ؟ ورصد بعض النقاد في شعره ما سمّيَ : (وفرة الاحتمالات) . فأين هي وفرة الاحتمالات في هذين البيتين المفردين ؟ وأين هو الغوص على المعاني ؟ وأين الغموض فيهما ؟ وإن لم يكن فيهما شيئ من ذلك ، فما موقعهما من مدرسته ؟

كل ذلك لم يخطر لي على بال من قبل ، ولم أضع البيتين موضع تساؤل ، وسلمت بما يسلم به كثير من الناس .

ثم كانت لحظة من لحظات السّحَر ، قدح فيها البيتان في روحي

---

* النائب الأول لرئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، المغرب .

[1] البيتان اشتهرت نسبتهما لأبي تمام ، إلا أنهما غير موجودين بديوانه ، في الشروح المعتمدة ، ومنها شرح الخطيب التبريزي ، وشرح الأعلم الشنتمري . (انظر شرح التبريزي ، بتحقيق محمد عبده عزام ، الصادر عن دار المعارف بالقاهرة ، وشرح الأعلم ، دراسة وتحقيق الأستاذ إبراهيم نادن ، وقد قدم له وراجعه الدكتور محمد بن شريفة ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م .

معنىً بعيداً ، ما سمعت أحداً ألمع إليه من قبل أو أشار . فهل كان ذلك هو الوارد ، بلغة القشيري ومدرسته ؟

يخلّص أبو تمام شعره من الحشو ، ويعجبه أن يكون ميسم شعره هو ما ردده كثيراً في أشعاره ، مثل قوله عنها :

تقول من تقرع أسماعه كم ترك الأول للآخر

وقوله :

فلَتلقينّك حيث كنتَ قصائدٌ فيها لأهْل المكرمات مآربُ
فكأنما هي في السماع جنادلٌ وكأنما هي في العيون كواكبُ [1]

ويروى : (هي في القلوب كواكب) ، وهي أجود .

وغرائبٌ تأتيك إلا أنّها لصنيعك الحسَن الجميل أقاربُ

وهكذا هو شعر أبي تمام في مجمله : ولوع بالغريب ، وتنقيب عن نفائس القول وتنقير ، وشغف بإثارة الدهشة .

فإذا عرفنا كلّ ذلك لم نقنع من البيتين اللذين هما موضع التأمل بالمعنى القريب .

والاستعانة بالتفسير الإشاري مرغب فيها هنا . وعلى كل حال فإن ما وقع لي هو قريب من الكشف الذي يباغت المريد السائر في طريق الحق تعالى .

ولكن التفسير الإشاري لا بد فيه من أن يتوكأ على بيّنة ، إذ المراد البيان ، وما يُتوكأ عليه في بيت أبي تمام هو لفظة " الأرض " في قوله : " كم منزل في الأرض يألفه الفتى " .

لو بقي التعبير على إطلاقه لما غادر الرأي المألوف ، أمّا وقد جعل الشاعر المنزل (في الأرض) ، فمن حقنا أن نتساءل : وهل يكون المنزل إلا في الأرض ؟ وهل جاء الشاعر بهذه الكلمة عبثاً ؟ وماذا عليه لو حذفها ، إن كان لا يقصد غير هذه الأرض التي نحن نمشي عليها ؟

قال تعالى ، في سورة الإسراء ، ١٠٤ : (وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ) .

وهو التعبير الإلهيّ المعجز الذي حيّر بعض المفسرين ، فضربوا على غير هدى ، حيث جاءت لفظة (الأرض) غير منسوبة إلى بقعة بعينها ، فنسب كلّ مفسر الأرض إلى جهة بعينها دونما بيّنة . فقال بعضهم : إنها

[1] ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، دار المعارف ، ١٧٤ .

الشام (مكي بن أبي طالب ، وابن جزي) ، وجعلها بعضهم أرض مصر (يحيى بن سلام ، والشوكاني ، والآلوسي ، وأبو زهرة) ، أو مصر والشام (الطبرسي ، والقرطبي ، والخازن) ، وجعلها القاسمي أرض كنعان . وجعلها المراغي الأرض المقدسة .

وأورد بعضهم القولين معاً ، دون ترجيح ، كما فعل الماتريدي . وقال السمرقندي : إنها الأردن وفلسطين ومصر . وسكت بعضهم ، ولم يعين مكاناً بعينه (الفخر الرازي) ، بينما قال (جواد مغنية) : إن الله خير بني إسرائيل أن يقيموا أين شاءوا . وكذلك قال (الطباطبائي) .

وما نرى أحداً جاء على قوله ببينة من كتاب أو حديث ، أو اجتهاد مبني على الأصول .

على أنّ للإمام الشعراوي قولاً في هذه الآية يقرّبنا مما نبغ .

وقف رحمه الله عند قوله عز وجل : (وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِه لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ) ، فقال : " فهل هناك سكن إلا الأرض ؟ إنَ أحداً لا يقول : اسكن كذا إلا إذا حدَّد مكاناً من الأرض ، لأن السكن بالقطع سيكون في الأرض فكيف يأتي القول : " اسْكُنُوا الأَرْضَ " ؟ والشائع أن يقال : اسكن المكان الفلاني من المدن ، مثل : المنصورة أو أريحا ، أو القدس ، وقوله الحق : " اسْكُنُوا الأَرْضَ " هو لفتة قرآنية ، ومادام الحق لم يحدد من الأرض مسكوناً خاصاً ، فكأنه قال : ذوبوا في الأرض فليس لكم وطن ، وانساحوا في الأرض فليس لكم وطن ، أي لا توطنوا لكم أبداً ، وستسيحون في الأرض مقطعين) . انتهى .

وعلى هذا ، فكلمة " الأرض " في بيت أبي تمام تحدّد أن منازل كثيرة يألفها الفتى في الأرض ، أي في الحياة الدنيا . وأما حنينه فهو أبداً لأول منزل .

فما أول منزل سكنه الإنسان ؟ إنه الجنة ، قبل أن يعاقب بالهبوط إلى الأرض ، بدليل قوله تعالى ، في سورة البقرة ، ٣٥ : (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِه الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) .

إن الجنة هي موطن السكن ، والسَكينة ، والاستقرار ، أما الأرض فهي موطن الانتقال حتى وإن ألفناها ، وتعلقنا بها ، كما تألف الروح الجسد ، فإن حان وقت فراقهما ، والتفّت الساق بالساق ، صعب على الروح مفارقة الجسد ، ومعالجة السكرات .

وهكذا يكون الحنين لأول منزل ، في البيتين ، يعني الحنين إلى الجنة . ولا يقتضي هذا أن يكون كلُّ إنسان مدركاً لهذه الحقيقة ، بل لا بد من أن يكون له نصيب من الشوق العظيم ، الشوق الوارد في دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم : " اللهم إني أسألك الشوق إلى لقائك ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة " . إنه الحنين الذي أدركَ أهلَ الحال ، أو أدركه أهلُ الحال ، من الصوفية ، وممن كان له قلب من الشعراء ومن الفلاسفة . وهو الحنين الذي أفصح عنه ابن سينا في عينيته الشهيرة التي يقول فيها :

هبطت إليك من المحلّ الأرفع ... ورقاءُ ذات تعزّز وتمنّع
محجوبة عن كلّ مقلة عارف ... وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كرهٍ إليك وربما ... كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أنفت وما أنست فلما واصلت ... ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنّها نسيتْ عهوداً بالحمى ... ومنازلا بفراقها لم تقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها ... في ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت ... بين المعالم والطلول الخضّع
تبكي إذا ذكرت جواراً بالحمى ... بمدامع تهمي ولمّا تقطع
وتظل ساجعةً على الدِّمَنِ التي ... درست بتكرار الرياح الأربع
إذ عاقها الشرك الكثيف وصدّها ... قفص عن الأوج الفسيح المُربِع
حتى إذا قرب المسير من الحمى ... ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
وغدتْ مفارقة لكلّ مخلّف ... عنها حليفَ الترب غير مشيّع
سجعت وقد كشف الغطاء فأبْصَرتْ ... ما ليس يدرك بالعيون الهجّع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق ... والعلم يرفع كل من لم يرفع
فلأي شيئ أُهبطت من شاهق ... سام إلى قعر الحضيض الأوضع
إن كان أرسلها الإله لحكمة ... طويت عن الفذ اللبيب الأروع
فهبوطها إن كان ضربة لازب بل ... تكون سامعة لما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية ... في العالمين فخرقها لم يرقع
وهي التي قطع الزمان طريقها ... حتى لقد غربت بعين المطلع
وكأنها برق تألق بالحمى ... ثم انطوى فكأنّه لم يلمع
أنعم برد جواب ما أنا فاحص ... عنه فنار العلم ذات تشعشع

إنه لا شيء يُبرز حقيقةَ (أول منزل) مثل قصيدة ابن سينا هذه التي عارضها كثير من الشعراء ، من عهده حتى عهدنا هذا ، وممن عارضوها أحمد شوقي ، الذي عارضها بقصيدته التي مطلعها :

ضُمّي قِناعَكِ يا سُعادُ أَو اِرفَعي ... هَذي الـمَحـاسنُ ما خُلِقنَ لِبُرقُعِ

وفيها يشير إلى ابن سينا ، ومنه يعرض إلى الأنبياء عليهم السلام ، فيقول :

ذَهَبَ اِبنُ سينا لَم يَفُز بِـكِ ساعَةً ... وَتَوَلَّتِ الـحُكَماءُ لَـم تَـتَـمَـتَّعِ
هَذا مَـقـامٌ كُـلُّ عِـزٍّ دونَهُ ... شَمسُ النَـهـارِ بِـمِثلِهِ لَم تَطمَعِ
فَـمُـحَمَّدٌ لَكِ وَالمَسيحُ تَرَجَّـلا ... وَتَـرَجَّـلَـت شَمسُ النَهارِ لِيوشَعِ
ما بـالُ أَحمَـدَ عَـيَّ عَنكِ بَيانُهُ ... بَل ما لِـعـيـسى لَـم يَقُل أَو يَدَّعِ
وَلِسانُ موسى اِنحَلَّ إِلا عُـقـدَةً ... مِن جـانِـبَـيكِ عِلاجُها لَم يَنجَعِ
لَـمّـا حَلَلـتِ بِـآدَمٍ حَلَّ الحِبا ... وَمَشى عَلى المَلأِ السُجودِ الرُكَّعِ
وَأَرى النُـبُـوَّةَ في ذَراكِ تَكَرَّمَت ... في يوسُفٍ وَتَـكَـلَّمَت في المُرضَعِ
وَسَقَـت قُريشَ عَلى لِسانِ مُحَمَّدٍ ... بِالبابِلِيِّ مِنَ الـبَـيـانِ المُمتِعِ
وَمَشَت بِموسى في الظَلامِ مُشَرَّداً ... وَحَدَتـهُ في قُلَلِ الجِبالِ اللُمَّـعِ
حَتّى إِذا طُوِيَت وَرِثـتِ خِـلالَـها ... رُفِعَ الـرَحـيـقُ وَسِرُّهُ لَم يُرفَعِ
قَسَـمَت مَنازِلَكِ الحُظوظُ فَمَنزِلاً ... أُترَعنَ مِنكِ وَمَـنـزِلاً لَـم تُترَعِ

وتفنى كلّ المنازل ، ويبقى أول منزل ، هو المنزل الذي تهفو إليه القلوب ، ويشتاق إليه الصالحون .

(ربّ هب لي حكما وألحقني بالصالحين) .

وهيجت شوقي هذه المعارضات فقلت :

أول منزل

هل في الجمال كحسنك المتضوِّع ؟ ... فالـشـمـسُ طالـعـةٌ وإن لم تطلُع
ويرى الـمصوّرَ في جمالك من رأى ... حـتـى لـقـد خشع الذي لم يخشع
كَشَفَ الحجابُ محاسناً مخبوءةً ... فتقنّعي ما شئت أن تـتـقـنّـعي
فالـدّرُّ مكنـوناً يَعُزّ ، فـإنْ بَدَا ... نفسي بك اشتاقتْ إلى السكن الذي
تركته ، مثل حمامة لم تسـجع
أأسـيرة نفـسـي تـريد خـلاصها ؟ ... بل أحكمي قيدي إذا لم تـخضـعِ
وتـطـلـعـت نـفسـي لأول مـنـزل ... ويـلٌ لـمـن نـجـواه لم تتطلع

تعريف بكتاب

قصص النبيين للإمام الندوي : دراسة تحليلية

الأستاذ محمد عمر فاروق *

كتاب " قصص النبيين " من أجمل الكتب المؤلفة في الأدب الإسلامي عامة ، وأدب الأطفال خاصة . وهو لمؤلفه الشهير في مجال الدعوة ، والإرشاد ، والتاريخ ، والأدب ، والفكر الإسلامي الحديث ، العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الندوي رحمه الله ، ألفه في خمسة أجزاء مراعياً المستوى الذهني للصغار من الأدنى إلى الأعلى . بدأ كتابه بقصة إبراهيم عليه السلام وختم على سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وللكتاب مكانة مرموقة في تربية الأبناء وتزويدهم بالصفات العالية ، وله أسلوب حلو في التعبير ، ودقة في المعنى ، ولكن سذاجة في الألفاظ .

يقول الداعية الأديب سيد قطب رحمه الله عن هذا الكتاب : " ولقد قرأت الكثير من كتب الأطفال بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وشاركت في تأليف مجموعة القصص الديني للأطفال في مصر مأخوذاً كذلك من القرآن الكريم ، ولكني أشهد غير مجاملة أن عمل السيد أبي الحسن في هذه القصة التي بين يدي جاء أكمل من هذا كله ، وذلك بما احتوى من توجيهات رقيقة وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة وحوادثها ومواقفها ومن تعليقات داخلة في ثنايا القصة " [1] .

وسبب تأليفه أن مؤلفه كان رائداً من رواد الأدب الإسلامي الحديث ، وكان يحمل في قلبه لوعةً وحرقةً لإصلاح المجتمع وبنائه على القيم الإسلامية الصحيحة ، وكان يرى الناشئين يدرسون قصص العجماوات والجمادات ، وقصصاً أخرى كاذبةً موضوعةً ليس وراءها عاطفة خالصة وصدق ووفاء ، ولا تحمل بين جنبيها شعوراً وإحساساً ، وهو ركن ركين للأدب ، فأراد أن يربّي أبناءه على الأساس المستقيم للأخلاق العالية ، وأي أساس أعلى من أساس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين جعلهم الله أئمة يهدون الناس بأمره . فإن للأنبياء شخصية

* أستاذ اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية ، إسلام آباد – باكستان .

[1] قصص النبيين للسيد أبي الحسن على الندوي ، ص ٤ ، تقريظ للسيد قطب .

كاملةً ونموذجاً مثالياً ، بحيث لا يوجد فيها أي نوع من النقص والزوال ، فاختار المصنف لذلك هذه القصص . والدارس إذا قرأ هذا الكتاب وتغلغل في معانيه وتحلى بمحاسن المذكورين فيه فهو يخرج منه ، وقد عرف حقيقة الحياة ، واتصف بصفات أولي الألباب ، بل أصبح هو بنفسه رجلاً مثالياً للمجتمع كله . ويقول المؤلف في كتابه الآخر " إذا هبت ريح الإيمان " : " وكنت إذا قرأت روايات الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني وأنا في أيام الطلب وريعان الشباب أوخذ بسحر أدبها ولغتها العربية الفصحى وتعبيرها الجميل وتصويرها البارع لخواطر النفس وأشكال الحياة وكنت أغار على هذه العربية الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم وتكلم بها الرسول وأصحابه أن تسخر للأغراض التافهة – إذا لم أقل الخسيسة – التي ألف لها هذا الكتاب وأن تضيع في الألحان والأغاني ورنات المثالث والمثاني ، وتصوّر جوانب الضعف ومواضع السقط . . . . . وكنت أتمنى أن تستخدم هذه الملكة البيانية وهذه الثروة اللغوية الفذة وهذا الأسلوب القصصي الخفيف الجميل في مقاصد شريفة وأغراض نبيلة . . . " [1] .

الجانب الخلقي للكتاب :

وأول شيئ ركز عليه المؤلف تركيزاً بالغاً هو توحيد الله عز وجلّ إذ به تكتمل الشخصية الإنسانية ويخرج به العبد من عبادة المخلوق إلى عبادة الله وحده ، وهو مصدر للخير كله يعلّم صاحبه الصدق والوفاء ويمنحه الثقة والاعتماد ويكون به حنيفاً مسلماً مخلصاً . وما أحوج الأطفال إلى هذه الصفة وما أسرع قلوبهم قبولاً لهذه الحقيقة الفريدة العالمية لأنها لوحة بيضاء لم ينقش عليها رسوم الشرك الجاهلية . وما من نبيّ إلا وقد دعا قومه إليه ، وهذا الكتاب الذي نحن بصدده يحكي قصص الأنبياء فكيف يخلو منه . ولكن الأنبياء عادة يخاطبون الكبار لأنهم مكلفون بدعوتهم ، أما المؤلف فهو يخاطب الصغار فراعى مزاجهم وطبيعتهم فكأنه غيّر الأسلوب للكبار إلى أسلوب يناسب الصغار .

اقرأ معي كلامه وهو يريد أن يبذر شجرة التوحيد في طالب مبتدئ ويطمئنه ، وكأنه يشرح قول الله عزوجل حكايةً عن إبراهيم عليه السلام : (وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ

[1] إذا هبت ريح الإيمان ، ص ١٠ .

ٱلْمُوقِنِينَ) [1] .

" . . . والكوكب ضعيف يغلبه الصبح ، والقمر ضعيف تغلبه الشمس ، والشمس ضعيفة يغلبها الليل ، ويغلبها الغيم ، ولا ينصرني الكوكب لأنه ضعيف ، ولا ينصرني القمر لأنه ضعيف ، ولا تنصرني الشمس لأنها ضعيفة ، وينصرني اللّه ، إن اللّه حي لا يموت ، وباق لا يغيب ، وقوي لا يغلبه شيئ " . تأمل هذه الكلمات وما فيها من تكرار للإثبات والتقرير .

وهو أعاد التوحيد بأساليب متعددة فيقول وهو يحكي عن سيدنا يوسف عليه السلام وقد سأل صاحبي السجن " أين رب البر ؟ ورب البحر ؟ ورب الرزق ؟ ورب المطر ؟ ونحن نقول اللّه رب العالمين " ، ثم يعيد نفس الكلام بعد سطر واحد " أين رب البر ورب البحر ورب الرزق ورب المطر ؟ " ، ويستمرّ ويكرّر ، ولكن بأسلوب جديد للسؤال " وكيف رب البر ورب البحر ورب الرزق ورب المطر ؟ " ، وإن هذا السؤال بأسلوبه المتين وتكراره القوي حرّك الأذهان وأحدث في القلوب شعوراً بمعرفة خالق الكون وربّه وأعلم الأطفال خطأً واضحاً تمسك به المشركون فقال مجيباً عن نفس السؤال : " الحكم للّه ، الملك للّه ، الأرض للّه ، الأمر للّه " .

وأثناء بيان دعوة الأنبياء لم يغفل المؤلف عن الحكمة الحسنة التي هي جزء لازم لها مع أن الصغار قلّما يرون الأشياء بدقة وإمعان ، فذكر الحكمة في اختيار الوقت المناسب فيقول وهو يحكي دعوة يوسف لصاحبيه في السجن : " قال يوسف في نفسه : إن الحاجة ساقت الرجلين إلي وإن صاحب الحاجة يلين ويخضع وإن صاحب الحاجة يطيع ويسمع . . . " ، وكذلك بيَّن الحكمة في اختيار الكلمات المناسبة كما في قصة هود بحيث يذكر دعوته : " قال هود يا قوم أنا أخوكم وصديقكم بالأمس ألا تعرفونني ؟ يا إخواني لماذا تخافونني وتفرّون مني ؟ " ، تأمل كيف كلمة " الأخ " وكلمة " الصديق " ثم انظر موقعهما في قلوب الأطفال الذين هم بحاجة إلى الصداقة والأخوة . وذكر الأسلوب نفسه في قصة صالح عليه السلام : " يا إخواني ! أتظنون أنكم هنا إلى الأبد ؟ " .

---

[1] الأنعام : الآية ٧٥ .

ولم يكتف بالدعوة فقط بل ما هو ضدها وهو الدعوة إلى الشر لأن الأشياء تتبين بأضدادها فيقول وهو يريد بيان قبح الشرك : " إن الله لا يؤتي علمه المشرك " . فحكى عن الشيطان وفكرته وفلسفته وكيف يحتال ليتبع الإنسان هواه وطريقه وكأنه اطلع على طريقة تفكيره ، وبينه على أسلوب الحوار علماً بأن الديار التي عاشها كانت ملائ بالشرك وكان المسلمون أحدثوا في الدين أشياء هي أقرب إلى الشرك منه إلى الإيمان " ، ذهب الشيطان إلى الناس وذكر هؤلاء الرجال : " (الصلحاء) وقال : كيف كان فيكم فلان وفلان وفلان ؟ قالوا : سبحان الله ! رجال الله وأولياؤه . . . . . قال الشيطان وكيف حزنكم عليهم ؟ قالوا : شديد قال وكيف اشتياقكم إليهم قالوا عظيم قال ولماذا لا تنظرون إليهم كل يوم ؟ قالوا : كيف السبيل إلى ذلك وقد ماتوا قال : اعملوا لهم صوراً وانظروا إليها كل صباح " ، ثم بين كيف انتقل الناس من الصور إلى التماثيل ومنه إلى الشرك .

ومن عادة الشيخ أبي الحسن علي الندوي رحمه الله أنه يحبّب الصفات النبيلة للطلاب ويستنبط من المراحل التي مرت بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام صفات خاصة ويلقي عليها ضوءاً بأسلوب جذّاب ساحر . انظر كيف تكلم عن صغر الأنبياء وطفولتهم وليس قصده إلا أن يرى أبناء قومه على تلك العادات الحسنة فيقول عن إبراهيم عليه السلام وهو صغير جداً : " وكان آزر له ولد رشيد جداً " ، وتكلم عن صغر يوسف : " وكان يوسف ولداً صغيراً . . . وكان يوسف غلاماً جميلاً ، وكان يوسف غلاماً ذكياً " ، بعد دراسة هذه الكلمات لا شك أن الدارس يرجو أن يكون رشيداً ويكون ذكياً .

وتحدث أيضاً عن الكرم والسخاء والحرية وهي من صفات المؤمنين وأعاد ذكرها عدة مرات ترسيخاً في الأذهان وتشويقاً إلى الإتيان بها . فيقول : " وكان يوسف جواداً كريماً لايعرف البخل " ، وكان يوسف جواداً كريماً مشفقاً على خلق الله " ، ويقول عنه في مكان آخر : " وكان يوسف في السجن ولكنه كان حرّاً كريماً كان يوسف فقيراً ولكنه كان جواداً سخيّاً " . تأمل كيف جمع بين الفقر والسخاء وكيف دعا إلى الجمع بينهما وكيف حمل الطالب على أن يتفكر بأنه لا يملك

شيئاً وهو كلّ على والده ، فهل يستطيع أن يكون سخياً ؟ فأجاب عن هذا السؤال بنفسه وذكر بأن السخاء لا يكون بالمال فقط وإنما يكون بأنواع شتى من الخير حيث قال : " إن الأنبياء يجهرون بالحق في كلّ مكان وإن الأنبياء يجودون بالخير في كل زمان " .

قصة يوسف كلها تدور على أن لله حكمة خفية وأن لله يداً مستورةً بحيث جرت الأحوال على خلاف ما يشتهيه سيدنا يعقوب عليه السلام فهو يحب ابنه يوسف ويريد بقاءه عنده كما لا يريد مفارقة بنيامين ولكن يعقوب عليه السلام نرى فيه اعتماداً كاملاً على الله وهدوءاً في شخصيته إذ ليس فيها جدل ومخالفة للأخلاق العالية الكريمة وهو يقول في كل مصيبة تكاد تتقطع لها القلوب الصابرة ويزلزل لها الرجال العباقرة " فصبر جميل " ويقول : (إِنِي أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّه مَا لاَ تَعْلَمُونَ) .

وإذا تتبعنا القصص كلها وجدنا المؤلف ألقى اهتماماً كبيراً على كل صفة عظيمة من صفات الأنبياء وأعاد بيانها عدة مرات فمثلاً هو يتحدث عن الإباء فيقول : " إن يوسف كان كبير النفس أبياً ، إن يوسف كان كبير العقل ذكياً " ، ولا يخفى أهمية الإباء الذي كاد أن يخلو المجتمع كله منه وكثرت فيها المجاملة والتملق . ويقول وهو يريد قباحة السرعة والعجلة لأنها من الشيطان " ، ولكن يوسف لم يسرع ، ولكن يوسف لم يستعجل .

ومن المعلوم أن قصة يوسف كلها موعظة حسنة للأطفال الصغار لأن يوسف لم يكن في ذلك الوقت إلا شاباً صغيراً وكيف تحمل ما تعرض له من الحقد والبغضاء والحسد وكيف أوذي إيذاء على غير سبب ، سوى أن والده يحبه أكثر من إخوته ثم كيف أصبح ذلك الولد الصغير البائس المسكين المطروح في البئر وزيراً على خزائن الأرض بسبب صلاحه وتقواه بل وفي هذه القصة موعظة ونصيحة للشباب كيف يحفظ فرجه ويعيش طاهراً طيباً كما فيها نصيحة للملك كيف يهتم برعيته ولا ينسى مولاه .

الجانب الأدبي للكتاب :

نرجع الآن إلى أدب هذا الكتاب فلا تسأل عن حسنه وروعته ، وحسبنا أعمال الشيخ الندوي الأدبية التي لقيت حفاوةً عظيمةً على المستوى العالمي ، ولكني أريد أن أشير هنا إلى بعض الجوانب المهمة . بلاغة هذا الكتاب هو مراعاته أذهان الناشئين الصغار من حيث الأسلوب واللغة

والأدب والتقديم ، فكأنه سلّم يدرج عليه الطالب رويداً رويداً إلى أن يصل أعلاه ويدرك منتهاه . استعمل المؤلف الألفاظ السهلة العذبة والجمل الصغيرة – مع أنه متعود على الجمل الطويلة كما هو ظاهر في كتبه المؤلفة للكبار – مع اجتنابه الألفاظ الغريبة الصعبة لا سيما من الرباعي والخماسي وأمثالهما فمثلاً بدأ الكتاب بقوله : " قبل أيام كثيرة كثيرة جداً ، كان في القرية رجل مشهور جداً ، وكان اسم هذا الرجل آزر . . . " ، وكذلك نراه يحاول أن يأتي بالجمل الإسمية ابتداء كما يجمع أنواعها المختلفة من أخوات كان والحروف المشبهة بالفعل فتجده يكثر أحياناً استخدام " كان " وتارةً " صار " حتى يترسخ هذا الأسلوب في ذهن القارئ .

ومن ميزته الأدبية هو التكرار ، ولكن دون أن يسبب ملالاً أو سآمةً في القارئ ، والتكرار الذي أتى به المؤلف على عدة أقسام فيعيد نفس الكلمة مرةً أو مرتين تأكيداً كما في قوله " كثير كثير جدا " ، وقوله " ولد رشيد رشيد جداً " ، وفي أماكن أخرى يغير شيئاً يسيراً في الألفاظ فمثلاً كما ذكرت آنفاً أتى بقوله " أين رب البر . . " ، ثم غير الأسلوب فقال " كيف رب البر ورب البحر " ، وفي قوله " كيف يطيب له الشراب والطعام وأبوه لا يطيب له شراب ولا طعام ولا منام " .

ومع كل ذلك أحياناً يذكر العبارة نفسها مرات عديدةً ، وكأنه يجد لذتها بنفسه ولا ينساها فقال وهو يشرح منظر البئر : " وبقي يعقوب يذكر يوسف ، وبقي يوسف يذكر يعقوب ، وكان يوسف في البئر ، وكانت البئر عميقةً ، وكانت البئر في الغابة ، وكانت الغابة موحشةً ، وكان ذلك في الليل ، وكان الليل مظلماً " .

ثم ذكر نفسها في آخر القصة : " وهم لا يعرفون أنه يوسف الذي كان في البئر وهم يظنون أنه قد مات وكيف لا يموت وقد كان في البئر ، كان في البئر وكانت البئر عميقةً ، وكانت البئر في الغابة ، وكانت الغابة موحشةً ، وكان ذلك في الليل وكان الليل مظلماً " ، وقال في موضع آخر : " وكان يوسف ولداً صغيراً وكان قلبه صغيراً وكانت البئر عميقةً . . . " ، تأمل في هذا التكرار كيف ذكره مرتين ولا يخفى ما يقع في فؤاد القارئ بعد دراسته من الحلاوة والعذوبة وهو يرددها مرات ويجد في كل مرة لذةً أعلى مما قبلها . وتأمل ما في هذه العبارة من ترتيب

واقعي ووصف للمنظر الموحش من الأدنى إلى الأعلى ، فكانت تكفي جملته الأولى " كان في البئر " وهو ولد صغير ولكنه أتى بنفسٍ الجملة مع زيادة الصفة وهي " العمق " وهي جعلت البئر أكثر وحشةً ثم يتصور القارئ بأن البئر من الممكن أن يكون قريباً من القرى والعمران ولكنه أزال تلك الشبهة فقال مشيراً إلى حدود البئر الجغرافية " وكانت البئر في الغابة " ولم تكن الغابة عاديةً كما هو ظاهر بل أضاف لها صفةً أخرى مع جملة جديدة " وكانت الغابة موحشةً " ، حسبك يا أبا الحسن رحمك الله فقد أتيت بجمل أثبتت وحشة ذلك المنظر فلا يستطيع الطالب الصغير أن يتحملها إلا بمشقة . فكأنه يجيب إنني أشعر بما يشعر به يوسف الصغير في ذلك المكان ولم يقتنع بهاتين الجملتين بل أضاف إليهما على الترتيب السابق " ، وكان ذلك في الليل وكان الليل مظلماً " . لا يظن ظان بأنه يأتي بالمبالغة بل كل ذلك يستنبطها من الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة ، ألا ترى الإشارة إلى الليل (وَجَآءُوٓاْ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ) ، وعمق البئر بقوله سبحانه : (غَيَابَةِ ٱلْجُبِّ) .

الأولاد الصغار يحبون أسلوب الحوار لما فيه من مؤانسة ومداولة من الجانبين فلم يشغل عنه المؤلف بل ذكر أسلوب الحوار في عدة مرات وخاصةً في المعنى الذي يريد ترسيخه في الأذهان ، ولا تنس أن الحوار يقرّب المنظر إلى القارئ فهو يظن بأن الكاتب رأى المنظر بنفسه ولم يعتمد على كلام شخص آخر فاقرأ كلامه وهو يذكر الحوار بين الشيطان وبين الإنسان ، وتأمل كيف صوّر الشيطان بصورة صديق يجلس مع صديقه ويحاول في إضلاله وإغوائه : " ذهب الشيطان إلى الناس وذكر هؤلاء الرجال (الصلحاء) وقال كيف فيكم فلان وفلان وفلان ؟ قالوا : سبحان الله رجال الله وأولياؤه ، أولئك إذا دعوا أجابهم وإذا سألوا أعطاهم ، قال الشيطان : وكيف حزنكم عليهم ؟ قالوا شديد قال وكيف اشتياقكم إليهم قالوا عظيم قال ولماذا لاتنظرون إليهم كل يوم قالوا كيف السبيل إلى ذلك ؟ وقد ماتوا قال اعملوا لهم صوراً وانظروا إليها كل صباح . . . " ، وانظر في حوار دار بين الإخوة ويوسف : " قال يوسف من أين انتم ؟ قالوا من كنعان قال من أبوكم قالوا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم قال هل لكم أخ آخر قالوا نعم لنا أخ اسمه بنيامين قال

لماذا لم يأت معكم . . . ، وقال لهم " ائتوني بأخ لكم من أبيكم . . . " .

من ميزاته بأن المؤلف يحاول تقريب الطلاب إلى كلام الله سبحانه وتعالى ولا يخفى بأن القرآن الكريم يستخدم بعض الأحيان عبارات صعبة بالنسبة إلى الأطفال الصغار فإذا وجد المؤلف الصعوبة شرحها بنفسه بكلمات سهلة ولكن إذا وجد فيه عبارة سهلة لا يصعب فهمها على المبتدئ فهو لا يأتي بجمله بل يكتفي بذكر الآية القرآنية كما في قوله : " وقال للآخر اذكرني عند ربك " ، ومثله كثير .

اهتم المؤلف ببيان الإحساس والشعور وهو لازم للنص العالي فتجده في موضع الفرح يذكره بأسلوب يكاد يجد القارئ الفرح أو هو من شدة فرحه يكاد يبكي كما في قوله : " ولما وصل يعقوب إلى مصر استقبله يوسف ولا تسأل عن فرحهما وسرورهما ، وكان يوماً مشهوداً في مصر ، وكان يوماً مباركاً في مصر ، ورفع يوسف أبويه على العرش ووقعوا كلهم سجداً ليوسف . . . " ، وكذلك تجد فيها مشاعر الحزن والحب معاً كما في قوله : " وهنا هاج الحزن والحب في يوسف ولم يملك نفسه . . . أبناء أبي وأبناء الأنبياء يشكون فقرهم ومصيبتهم . . . " ، ومشاعر الصبر والتحمل كما في قوله : " وسمع يوسف هذا البهتان فسكت ولم يغضب وكان يوسف كريماً حليماً " ، ومشاعر الإباء " ما رضي يوسف أن يخرج من السجن هكذا ويقول الناس : هذا يوسف ، هذا كان أمس في السجن ، إنه خان العزيز " ، ومظاهر الوفاء والأمانة كما في قوله : " أنا لا أخون سيدي أنه أحسن إلي وأكرمني إني أخاف الله " . إضافة إلى ما في الكتاب من ذكر الأسماء مرات دون رجع الضمير إليها لأنه يسهل الفهم للمبتدئ .

لقد ظهر مما مضى بأن هذا الكتاب ليس مجرد كتاب القصة ، بل فيه علم عظيم وموعظة حسنة وأخلاق عالية وتربية راقية وأدب رفيع وبلاغة رائعة يتناول أشياء كثيرة مهمة ، ولكن يطلب من القارئ الكد والسعي في معرفة كل ذلك أولاً ، والعمل به ثانياً . ويدلّ كل ذلك على أن المؤلف كان مليئاً بالحب والإخلاص والصدق والصلاح وكان يحمل قلباً يقظاً نشيطاً رحيماً يريد الخير للمجتمع ولم يكن ذلك إلا لأنه كرّس الحياة لنشر العلم وجاهد في سبيل الله وأدى دوره على أحسن ما يستطيع المسلم المؤمن ، وكان بنفسه شخصية مثالية ، ترك آثاره الحميدة ليقفوها من وجد إلى ذلك سبيلاً .

الشرق الجديد للدكتور محمد حسين هيكل

بقلم : الدكتورة عائشة قدسي القدوائي *

الهند بلد عريق يعود تاريخه إلى قرونٍ مضت ، وهي ثرية بثقافات متعددة ونادرة ، كما أنها موطنٌ لجنسياتٍ مختلفة ومواقع أثرية نادرة . وقد زار الرحّالات العرب بعض مناطق الهند خلال فترات مختلفة ، وهذه الزيارات ليست مجرد مصدر للتسلية والمتعة فحسب ، بل تربط الناس بعضهم ببعض ، وتكشف عن كنوز الثقافات والحضارات . ويؤيد الدكتور محمد حسين هيكل هذه الفكرة ، مشيراً إلى أن " زيارة المواقع الأثرية لا تهدف إلى الاستمتاع بجمال العمارة فحسب ، بل تهدف إلى فهم علاقة الإنسان بالحياة والوجود في مختلف أدوار التاريخ " .

وقد زار الدكتور محمد حسين هيكل الهند في بداية القرن العشرين الميلادي بدعوة من الحكومة الهندية للمشاركة في المؤتمر الدولي حول دراسة تعاليم غاندي ودورها في تعزيز العلاقات الإنسانية بين الأمم . وقد سافر في أنحاء الهند المختلفة ، وشاهد بعض الأمكنة والجامعات خلال إقامته في الهند ، وتأثر بشدة بهذه الزيارة ، حيث سجّل ملاحظاته في فصلٍ من كتابه بعنوان " الشرق الجديد " ، وخاصةً كتابته عن مهاتما غاندي [1] وجهوده نحو استقلال الهند وصفات شخصيته القيادية البارزة .

يتكون كتاب هيكل من خمسة فصول :

* الأستاذة المساعدة في كلية كرامت حسين للدراسات العليا للبنات المسلمات ، لكناؤ ، الهند .

[1] كان موهانداس كرمشاند غاندي محامياً هندياً وقومياً مناهضاً للاستعمار ، وخبيراً في الأخلاق السياسية اشتهر بمقاومته اللاعنفية . قاد الحملة الناجحة لاستقلال الهند عن الحكم البريطاني ، ولاحقاً ألهم حركات من أجل الحقوق المدنية والحرية في جميع أنحاء العالم .

- الفصل الأول : الشرق والغرب
- الفصل الثاني : الشرق في نهضته
- الفصل الثالث : البوذية
- الفصل الرابع : غاندي
- الفصل الخامس : الإسلام والحضارة الجديدة

هذا الكتاب يتألف من ٧٩٢ صفحة .

بصفته محللاً سياسياً بارزاً ، يشعر محمد حسين هيكل بالجذب إلى التشابهات بين الهند ومصر ، حيث كان كلا البلدين يمران بفترات الاستعمار الخاص بهما . وكان ما يحدث في مصر مثيراً للاهتمام بالشعب الهندي ، والعكس صحيح . عندما نجحت حركة الاستقلال الهندية ، اعتبر نجاحها انتصاراً للحرية والاستقلال والكرامة الإنسانية ، وخاصةً أن الهند هي قارة فضلاً عن استقلال ٤٠٠ مليون شخص فقط ، بل كان يعتبر انتصاراً كبيراً وانتصاراً واضحاً للحرية والاستقلال والكرامة الإنسانية ، واعتبر أيضاً حركة الاستقلال الهندية انتصاراً مجيداً وفتحاً واضحاً للحرية والاستقلال والكرامة الإنسانية وجميع القيم الإنسانية النبيلة ، وكانت حركة استقلال الهند مثالاً مشرقاً في تاريخ النضال الإنساني من أجل الحرية . لذلك ، عندما دعته الحكومة الهندية للمشاركة في المؤتمر الذي عقد في نيو دلهي لدراسة تعاليم وأساليب غاندي العلمية في تعزيز العلاقات الإنسانية داخل الدول وبين الدول ، لم يتردد محمد حسين هيكل . وقبل الدعوة بشغف وبدأ في دراسة حياة غاندي وتعاليمه ، والتفكير في العديد من الأفكار العظيمة التي طرحها غاندي . وعلى الرغم من ذلك ، درس هيكل تاريخ الهند حاضرها وغابرها أيضاً . وكان موعد هذا الحدث في ٥/١٧ يناير ١٩٣٥ الميلادي .

إن الكرامة الإنسانية التي كافح من أجلها غاندي يعتبرها محمد هيكل فكرته الأساسية ، ويعترف بها بإعجاب كبير على الرغم من عدم اتفاقه مع نظرية غاندي الاقتصادية التي أصبحت معروفة باسم

" سواديشي " [1] ، وبعض أفكاره المتعلقة بالتعليم وطريقته التجريبية ، كما يظهر محمد حسين ريبه في تلك آراءه المتقدمة ويكتب :

" قدم غاندي ، في ضوء التطور الجديد للفكر الإنساني ، برنامجاً شاملاً يشمل جميع مجالات النشاط البشري ، بما في ذلك المجالات الأخلاقية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية ، والمزيد ، وهذا البرنامج يتناول أيضاً العلاقات الدولية ، ولكن على نطاق أضيق بكثير . وقد حظي بعض أجزاء هذا البرنامج بالقبول العالمي ، ولكني أشك في أن بعض أجزائه الأخرى ، خاصة تلك المتعلقة بالنظرية الاقتصادية ، مثل سواديشي وعجلة الغزل [2] المقبولة أخلاقياً ، ستحظى بمثل هذا القبول . ومع ذلك ، فالعلم لا يمكن أن يتراجع . إن أفكار غاندي المتعلقة بالتعليم والطريقة التجريبية الخاصة به ، والتي تسمى طريقة المشروع ، رائعة طالما لم تتجاوز حدود التعليم الابتدائي والثانوي . كما أشك في إمكانية تحقيق سواديشي والاكتفاء الذاتي لاحتياجات بلد واحد في ظل الظروف الحالية للاقتصاد العالمي المعاصر ، وعلاوة على ذلك ، فإنني أشك في إمكانية تطبيق الطريقة التجريبية في الجامعات " (ص ٦٢٢) .

ومع ذلك ، قدّر محمد حسين بشكل كبير برنامجه الأخلاقي واعتبره مساهمةً رئيسيةً في تحسين حياة الإنسان . وأعجب بالتسامح الديني للمهاتما غاندي ، الذي يعني قبول جميع الأفراد من جميع الأديان والثقافات . والهدف من التسامح الديني هو رفض التطرف ، حتى يمكن لجميع أفراد المجتمع أن يعيشوا في جو من المحبة والمودة والتعاون لتعزيز المجتمع الإنساني . ويعتبر محمد حسين التسامح كأخوة حقيقية ، ويؤيد هذه الفكرة ، قائلاً : " يمكنك الدعاء لله على الطريقة التي يفعلها

[1] حركة سواديشي هي حركة الاكتفاء الذاتي التي كانت جزءاً من حركة استقلال الهند ، وتهدف إلى تعزيز قطاع التصنيع في الهند والاعتماد على التصدير بدلاً من الاستيراد ، ولذلك كان الاقتصاد الهندي مغلقاً حتى عام ١٩٩٠م .

[2] تشاركها لغاندي هو عجلة الغزل ترمز إلى الاكتفاء الذاتي الاقتصادي للهند .

أجدادك بأي طريقة تختارها ، وأنت أخ لكل من يدعو الله ، بغض النظر عن دينهم ، طالما أنتم جميعاً صادقون في إيمانكم وصلاتكم ، لأن الله هو الحق والحق هو الله في جميع الأديان .

وهنا أذكر ملخصاً لما استخلصه محمد حسين من تعاليم غاندي ، على النحو التالي :

١. السلام الحقيقي هو سلام الأحرار ، وليس سلام العبيد ، وضمان هذا السلام داخل حدود دولة واحدة يضمن السلام في العلاقات بين الدول .
٢. الحرية الحقيقية هي حرية الروح في إيمانها بالحقيقة التي هي مقتنعة بها ومؤكدة عليها ، وليست حرية الممتلكات المادية التي تحصل عليها الروح من خلال الحق .
٣. قوة الروح المستمرة المستمدة من الحق أقوى من أي سلاح ، لأن صاحبها لا يهتم بما يصيبه في طريق هذه الحق ، حتى وإن كان الموت .
٤. جميع الديانات تمثل الحق التي يلهم الله بها خدمه المختارين ، وكلها تدعو إلى الحب والسلام ، لذا من المستحيل أن ينهض شعب ما دفاعاً عن دينه ضد شعوب أخرى ، لأن الحرب تتعارض مع طبيعة الحب والتسامح والسلام .
٥. التعليم والتعلم من بين حقوق الذات وأسس الاقتصاد الوطني في الزراعة والصناعة ، وينبغي أن تدعم هذه التجارة الاكتفاء الذاتي ، وليس الإضرار به .
٦. ومن واجب الدولة تنمية هذه المبادئ دون اللجوء إلى العنف في الشؤون العامة ، بل تنظيم الناس في هذه المسائل وفقاً للمعتقدات والإيمان (ص ١١٢ – ٢١٢) .

فقام الدكتور محمد حسين هيكل بزيارة للهند في النصف الثاني من القرن العشرين وقضى خمسة أسابيع هناك .

أكد محمد حسين هيكل أن " هؤلاء (الهنود) مضللون بالاعتقاد بأنها تمتلك جبال الهمالايا حيث يقف جبل إيفرست ، أعلى قمة في العالم ،

ويعتقد البعض الآخر أن الهند هي أرض الغابات والأدغال الكثيفة التي تغطي عشرات الآلاف من الفدادين وتضم مخلوقات مثل الأسود والنمور والفهود التي يخشاها البشر . وهم مضللون بما كتبه المسافرون الإنجليز وغير الإنجليز عن صيد الحيوانات في الهند ، ولا يصوِّر أيٌ من هذين الاعتقادين حقيقة الهند بأكملها " (ص ٢٣٢) .

إن آثار الهند التي شاهدها محمد حسين في الهند حثته على التفكير العميق وربط حاضره بالماضي ، حتى اكتشف ملامح الثقافة الهندية في الماضي . شهد مختلف الحضارات القديمة خلال رحلته في الهند وأعجبه الآثار الباهرة للهند ، وقال : " الهند غنية بالآثار بلا مقدار ، وتترك آثارها ألواناً مختلفةً من التصور الإنساني للحياة في العصور الإنسانية المختلفة . وذلك لأن الهند تأثرت بالحضارات المختلفة التي استوطنتها وتركت وراءها ما يجعل الشخص ينظر بدهشة . بالإضافة إلى لآثار الهندوسية الأصلية التي يعود بعضها إلى أكثر من ألفي عام أو أكثر ، هناك أيضاً آثارمن المغول والفرس وغيرهم ، ومن المسلمين . وهناك أيضاً آثار حديثة بناها الهنود بعضها ، وبناها البريطانيون بعضها الآخر . تدعو كل هذه المعالم إلى التأمل العميق (ص ٥٣٢) .

ويزعم محمد حسين هيكل أن أهم الآثار الإسلامية في الهند هي المساجد والقبور وتاج محل ، الذي هو الأكثر روعة وعظمة بينهم . تشبه القبور الهندية تلك التي كان يبنيها الفراعنة ، فكتب محمد حسين بعد زيارة القبور الهندية : " إنها قبور بناها الإمبراطور شاه جهان لزوجته ، تماماً كما تشبه أهرامات مصر القبور التي بناها الفراعنة ليدفنوا فيها " . تختلف القبور الهندية عن تلك التي بناها المصريون ، فكتب محمد حسين عن القبور الهندية : " كثيراً ما أرى بجوار هذه القبور الفاخرة ، قبور مستقلة عنها ، ولا يرتبط بها بأي صلة ، وتختلف عن قبور المصريين التي ترتبط بالمساجد " . وتختلف المساجد الهندية عن غيرها أيضاً . يقول محمد حسين عن المساجد الهندية : " أما بالنسبة للمساجد الهندية ، فيختلفون أيضاً عن غيرهم من مساجد المسلمين ، ولم أر شيئاً مثلهم إلا مسجد

الأمويين في دمشق . أما مساجد العراق وإسطنبول ، فيشبهون مساجدنا هنا في أنهم جميعاً مغطاة بالسقف ، ولكن في مسجد دمشق أو المساجد الهندية ، فإن الجانب المتصل بالقبلة مغطى بالسقف ومدعوم بالأعمدة ، في حين يظل بقية المسجد مفتوحاً للسماء ، متصلاً ببقية المسجد كجزء منه ، وكانت المساجد الهندية التي رأيتها جميعاً مبنية بشكل جميل .

أذهل محمد حسين النشاط العلمي في الهند عندما زار الجامعات الهندية ، حيث كتب : " لا أبالغ إذا قلت إن نشاط الحركة العلمية في الهند يستحق الإعجاب ، بل حتى الدهشة . وكانت هذه الحركة العلمية من بين الأشياء التي لفتت انتباهي خلال إقامتي في الهند .

هذه هي الخصائص الثقافية للهند وشخصية غاندي وأفكاره التي نقرأ ونسمع عنها ، والتي كتبها الكاتب والصحفي والروائي والمؤرخ والسياسي المصري العظيم محمد حسين هيكل . قدَّم هيكل قسمين من كتابه " الشرق الجديد " حول شخصية غاندي وثقافة الهند من منظور جديد يجمع بين التحليل العميق والأسلوب المشوق . يمكننا القول بأنه لم يستطع تقديم صورة شاملة للثقافة الهندية ، ولكنه نجح بشكل ملحوظ في تقديم ملامح شخصية غاندي ، وأفكاره ، ومعتقداته ، وحركة الاستقلال ، وجهوده الجديرة بالثناء لضمان المساواة بين جميع البشر امرأةً كان أم رجلاً من كل طبقة اجتماعية .

مع ذلك ما يثير الاهتمام هو أن محمد حسين هيكل خصص فصلاً في كتابه " الشرق الجديد " لمهاتما غاندي ، إلا أنه لم يذكر اسمه الكامل طوال الكتاب ، باستثناء " غاندي " أو " مهاتما غاندي " . ومن الجدير بالذكر ذكر اسمه الكامل ، موهنداس كارامتشاند غاندي ، على الأقل مرةً واحدةً .

المراجع :

١. محمد حسين هيكل ، الشرق الجديد ، ط ٢ ، دارالمعارف ، القاهرة ، مصر ، ص ٢٠٧ .

٢. محمد حسين هيكل ، أحاديث في آسيا ، ط ٣ ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، ص ٣٢٤ .

وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر

محمد فرمان الندوي

لقد ارتحل ذلك الرجل العظيم ، الذي لمع اسمه في سماء العلم والأدب ..... وفارقتنا تلك الشخصية المثالية التي ملأت الأوساط الأدبية والتاريخية بطرائفها ونتفها ..... وودعنا ذلك المصباح المنير الذي أضاء المكتبة القرآنية والتاريخية بمؤلفاته القيمة ..... وأفل ذلك النجم اللامع الذي أشرق بوجوده أفق التعليم التربية ..... وغربت تلك الشمس المشرقة التي نورت العالم بأشعتها اللامعة ، وقد اختفى عن أعيننا شيخنا وأستاذنا السيد محمد الرابع الحسني الندوي (١٩٢٩ – ٢٠٢٣م) الذي حكم قلوبنا ونفوسنا طول حياته بعلمه الغزير ، ودماثة خلقه الكريم ، ولا يزال حكمه الآسر بمجامع قلوبنا سائداً علينا بعد وفاته ، كأننا فقدنا بوفاته كل شيئ في الكون .

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيئ بعدكم عدم

كنا كلما دهمنا أمر ، أو أصبنا بأمر غير عادي لجأنا إلى كنفه ، فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم ، وأرشفنا ماءً زلالاً ، ألذ من المدامة للنديم ، فلا شك أنه كان رفيع الشأن ، وعالي المنزلة في حياته ، ونال لسان صدق بعد مماته ، وقد عاش حياة مغبوطة ، ونال عمراً طويلاً في أسرته بوجه أخص (وخير الناس من طال عمره وحسن عمله) ، ولم يكن له من المرض المرهق ما أنهكه وأضناه إلا الشيخوخة والهرم ، وكان سليماً ، معافىً من الأمراض العادية مثل مرض السكر وضغط الدم ، رغم كبر سنه وضعف عمره ، إذ فاجأنا نعي وفاته ، فهز كياننا ، وأظلم دنيانا ، لكن أمر الله كان قدراً مقدوراً ، وقد شاهدت مشاهد متعددة للخواتيم ، لكن يا لحسن الخاتمة وحسن القبول عند الله تعالى ، فكان محمداً ومحموداً باسمه ومسماه :

علو في الحياة وفي الممات لحق أنت إحدى المعجزات

خير خلف لخير سلف :

امتازت شخصية شيخنا – رحمه الله تعالى – بمزايا وخصائص ، يندر وجودها في أفراد قلائل من أهل العلم والعمل ، اشتهر شيخنا في الأوساط العلمية بإنسان كامل ، وعُرف بعالم كبير ، وأديب شهير ، وصحافي محنَّك ، ومرب للأجيال وصانع للرجال ، وكان قائداً للأمة ، ومرجعاً للخلائق ، يزدحم الناس عليه ، سواءً كان في مسقط رأسه أو كان في رحلة من رحلاته ، وينهلون من منهل علمه وتربيته ، وقد رزقه الله من حسن التعامل مع الناس ، فإنه يلقى الصديق والعدو بوجه طلق ، وقد تميز بين العلماء بحلمه وتواضعه ، وخلقه

الرفيع ، فليس هناك فخفخة ولا استعلاء ، ولا زهو ولا نخوة ، ولا كبر ولا غرور ، وقد ورد عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، فوالله كان شيخنا نموذجاً لهذه الأسوة النبوية ، وقد بحث الباحثون ، والتمس الملتمسون بعد وفاة الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي : من يقوم مقامه ؟ ومن يحتل منزلته ؟ فتم اختيار شيخنا رحمه الله بموافقة تامة ، وطواعية عامة ، فكان خير خلف لخير سلف ، ولن يخمل من كان هو سلفه بإذن الله تعالى .

رائد الأدباء والعلماء :

جمع شيخنا بين العلم والأدب ، فلم يكن أديباً محضاً ، ولا عالماً جافاً ، بل كان يوجد لديه من الحلاوة الأدبية ، والغزارة اللغوية ، كما يتفجر العلم والحكمة من جوانبه الأربعة ، إنه درس في دار العلوم لندوة العلماء ، وتتلمذ على الإمام الندوي ، والأديب الشاعر الشيخ محمد ناظم الندوي ، والشيخ حليم عطا السلوني ، والشيخ محمد إسحاق الندوي السنديلوي ، كما درس بنفسه كتب الأدباء المعاصرين أمثال أحمد أمين وعباس محمود العقاد ومصطفى صادق الرافعي ومصطفى المنفلوطي وعلي الطنطاوي وغيرهم ، وزار مباشرة عام ١٩٥٠م علماء المملكة العربية السعودية ، ثم تكررت هذه الزيارات في العالم الإسلامي ، فانتخب عضواً في كثير من الجمعيات والمؤسسات ، وكان أميناً عاماً لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ثم رئيساً لها ، فجرت الزيارات واللقاءات بين المثقفين العقلانيين والأدباء المعاصرين ، وأضف إلى ذلك مؤلفاته حول العلم والأدب أمثال منثورات من أدب العرب ، وهو اختيار موفق أدبي لعدد من دراسات الأدباء الماضين ، ومختار الشعر العربي في جزئين (من الجاهلي إلى العباسي) ، وكفانا فخراً واعتزازاً أن مؤلفه الذائع الصيت (الأدب العربي بين عرض ونقد) تتلمذ عليه آلاف من الطلاب ، وقاموا بتنمية ذوقهم الأدبي ، وما زالت ولا تزال هذه السلسلة الذهبية إلى ما شاء الله .

يحمل شيخنا رحمه الله في أدبه نقداً بناءً لا نقداً هداماً ، وكان نقده مساعداً على الفكر والتأمل ، وعوناً على الدراسة والتدبر ، وكان يقول : إن المعارف العقلية التي يحملها الإنسان تنقسم إلى علم وفن ، فالعلم هو الحساب والجبر والرياضة ، أما الفن فهو يؤثر في النفوس والقلوب ، إما بصورة الكلمات والعبارات أو في صورة الأشكال والتماثيل ، ومن هنا ينشأ الأدب ، وكان يقول : وكل أديب يحمل شخصية وموضوعية ، فأحياناً تغلب الموضوعية على كتابته ، وأحياناً تغلب الشخصية على عبارته ، وكان يقدر لمعرفة كل عبارة أو مقالة عناصر أربعة : وهي الفكرة والخيال والعاطفة والصورة اللفظية ، فباستعمال هذه العناصر يتكون أدب المعاني وأدب الألفاظ ، وقد جمع شيخنا بين أدب المعاني وأدب الألفاظ

إبداع وابتكار:

تتميز الأعمال العلمية لشيخنا رحمه الله بالجدة والتنوع والابتكار ، فإنه ما خاض في غمار التصنيف والتأليف لينال شهرة بين المؤلفين وأصحاب الدراسات الواسعة ، فإن مؤلفاته لا تعد في المآت ، لكن كل ما يوجد له من الكتب ألف لسد حاجة تعليمية وملء فراغ أدبي ، وقد كان مكلفاً من الكبار لإكمال هذه الأعمال العلمية يوجد فيها إبداع وابتكار ، وهاكم بعض الأمثلة :

(١) وقد سبق أنه ألَّف كتاب (منثورات من أدب العرب) ، فإن تأليفه كان لسد فجوة بين السلسلة الأدبية في المقررات الدراسية لندوة العلماء ، كان في جانب سلسلة قصص النبيين في خمسة أجزاء ، والقراءة الراشدة في ثلاثة أجزاء ، وفي جانب آخر مختارات من أدب العرب ، وكانت بين هاتين السلسلتين ثغرة أدبية ، فكلف مسئولو ندوة العلماء شيخنا رحمه الله لإعداد كتاب يملأ هذه الفجوة الأدبية ، فجاء كتاب منثورات من أدب العرب في أوانه وفي مكانه ، وأصبح قنطرة بين السلسلتين : اللغوية والأدبية .

(٢) إن المقررات الدراسية في الهند كانت حافلة بكتب المنطق والفلسفة ، وذلك لشحذ الأذهان وصقل المواهب المخبوءة ودراسة الكتب القديمة كما يقول أصحابها ، لكن حينما تأسست ندوة العلماء ، فكان من غاياتها إصلاح المقررات الدراسية المنبثة في شبه القارة الهندية بوجه أخص ، قد اعتنت ندوة العلماء بالدراسات الجديدة ، فحذفت بعض مواد المنطق والفلسفة ، وأدخلت بدلاً عنها الموضوعات التي تشرح القرآن والحديث ، وتاريخية أمكنتهما ، وكان من هذه الموضوعات تاريخ جزيرة العرب ، فإذا لم يكن الطالب في شبه القارة الهندية مطلعاً على جغرافية جزيرة العرب ، ولا سيما مكة المكرمة والمدينة المنورة لا يستطيع أن يدرك مدى ارتباطه بالحرمين الشريفين ، ولا يمكنه أن يعرف معنى الحديث الذي ورد فيه : ولكن شرِّقوا وغرِّبوا ، رغم أن التشريق والتغريب في البول والبراز للهنود غير شرعي ، فدرس هذا الموضوع شيخنا رحمه الله تحت إشراف خاله العظيم الشيخ الطبيب السيد عبد العلي الحسني (رئيس ندوة العلماء سابقاً) دراسة واعية ، وقد شهد عنه الإمام الندوي قائلاً : " والحقيقة أني لا أعلم أحداً في هذه الفترة أكثر اطلاعاً منه على جغرافية جزيرة العرب والعالم الإسلامي " . فألف شيخنا رحمه الله هذا الكتاب ، وطبع عام ١٩٦٢م من ندوة العلماء ، وأُدخل في مقرراتها الدراسية ، ولا يزال يدرسه طلاب دار العلوم لندوة العلماء ، وقد نُقل إلى العربية ، فتوسع نطاقه بفضل الله تعالى .

(٣) كان شيخنا رحمه الله يعتقد أن أصل العلوم هي الكتاب والسنة ، وإليهما يرجع الإنسان في حل معضلاته ، وفك عويصاته ، وقد أصيب المسلمون خاصة ، والإنسانية عامة بالانحطاط في مجالات مختلفة بنبذ تعاليم الكتاب

والسنة وراءها ظهرياً ، وقد ظهر له جلياً قول الإمام مالك رحمه : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، فنظراً إلى هذه الحاجة الملحة ألف كتابين مهمين ، وهما الهداية القرآنية سفينة نجاة للإنسانية ، وهو التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ، يغطي أحد عشر باباً ، كما ألف كتاباً حول سيرة خاتم النبيين باسم : سراجاً منيراً ، وهو يحتوي على عشرة أبواب ، بهذين الكتابين ربط علاقة الإنسان ، ولا سيما الجيل المسلم بالكتاب والسنة ، وكان له في آخر عمره شغف زائد بالحديث ، بحيث يُقرأ عليه في مجلسه كتاب الشمائل للإمام الترمذي ، ورياض الصالحين للإمام النووي ، وتهذيب الأخلاق للعلامة السيد عبد الحي الحسني رحمهم الله جميعاً كما قدَّم للمؤلفات الحديثية .

(٤) أدب الأطفال والشباب في الصحافة العربية لم يكن معروفاً في شبه القارة الهندية ، بل الواقع أن المعنيين باللغة العربية لم يلتفتوا إليه التفاتاً ما ، وكان جل اعتمادهم على أدب الصحافة في العالم العربي ، وقد طرق شيخنا رحمه الله هذا الموضوع ، وقام بتعريفه لدى الخاصة والعامة ، وقد أنشأ تحقيقاً لهذا الغرض صحيفة باسم الرائد ، وهي أول صحيفة تتناول موضوع أدب الصحافة العربية للناشئين في الهند على نطاق أوسع ، ومن فضل الله تعالى أن هذه الصحيفة لعبت ولا تزال تلعب دوراً هاماً في نشر أدب الأطفال باللغة العربية .

(٥) موضوع التعليم والتربية من الموضوعات المهمة في إعداد وتنمية النشء الجديد ، وقد نال هذا الموضوع في القرن العشرين الميلادي أهمية قصوى في جميع الأوساط ، فكانت الحاجة إلى أن تكون هناك لجان لتدريب الدعاة والمعلمين ، فسبقت ندوة العلماء في هذا المجال ، وأنشأت معهداً دعوياً وفكرياً للتدريب ، وأسند إلى شيخنا رحمه الله موضوع التعليم التربية في المجتمع الإنساني ، فأعد محاضرات وألقاها أمام المستمعين ، وهي محاضرات قيمة لبناء المجتمع الصالح على أسس سليمة وقواعد متينة ، وظلت هذه المحاضرات أساساً لفتح كثير من دور التعليم والتربية ، ومراكز العلم والعمل ، وطُبعت هذه المحاضرات بالعربية والأردية : باسم : مقالات في التربية والمجتمع .

وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر :

لا شك أن شخصية شيخنا رحمه الله كانت شخصيةً مثاليةً ، وكانت قدوةً يُقتدى بها ، وأسوةً يتأسى بها ، وقد أجمع كل الطوائف والفرق من المسلمين وغير المسلمين على صلاحه وتقواه ، وزهده في الدنيا ، ودرايته للموضوعات وحله للمشكلات على أحسن صورة ، وقد قاد الأمة الهندية في هذه الآونة الأخيرة قيادة رشيدة بحلمه وصبره ، وتجربته الواسعة ، وحينما فقدنا وجوده الآن بوفاته ، فكأنه أنشد بلسان الشاعر :

سيذكرني قومي إذ جد جدهم وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر

(١) الشيخ المحدث والمحقق السيد محمد يحيى الندوي إلى رحمة الله

قلم التحرير

انتقل إلى رحمة الله تعالى المحدث البارع ، والباحث النابغ الشيخ السيد محمد يحيى الندوي ، بعد ماعاش عمراً يجاوز ٩٢/ عاماً ، وذلك في ١٨/ رمضان ١٤٤٤هـ ، المصادف ٩/ أبريل ٢٠٢٣م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون

كان الشيخ المحدث السيد محمد يحيى الندوي من أبرز علماء وخريجي ندوة العلماء بلكناؤ (الهند) ، التحق بدار العلوم لندوة العلماء عام ١٤٤٤هـ ، وتخرج منها عام ١٩٤٨م ، وكان من زملائه في الصف الشيخ الدكتور السيد سلمان الندوي بن العلامة السيد سليمان الندوي ، والشيخ السيد حبيب الحق الندوي ، وكان بيته بيت علم وأدب ، وكان والده السيد فضل الكبير يحمل ذوقاً علمياً ودينياً وشغفاً زائداً بالكتب العلمية والأدبية ، فيشتريها ويجمعها في بيته ويقرأها كما كان يدير مدرسة علم وتربية للبنين ، وكان الشيخ السيد محمد يحيى من قرية سانحه بمديرية بيغو سرائ ، في ولاية بهار ، وكان ينتمي إلى الأسرة الحسينية ، وُلد في قريته عام ١٩٣٠م ، وتزوج الشيخ السيد محمد يحيى الندوي من كريمة الشيخ لطف الله الرحماني أحد أنجال العلامة الشيخ السيد محمد علي المونغيري (مؤسس ورئيس ندوة العلماء) ، فرزقه الله أولاداً ، منهم الأخ جنيد أنور ، بارك الله في حياته .

استفاد الشيخ السيد محمد يحيي الندوي من مشايخ عصره ، فنشأ فيه ذوق تحقيقي وأدبي أمثال العلامة عبد العزيز ميمن ، والأستاذ عبد اللطيف الرحماني والشيخ بدر الدين العلوي ، وقد عاش زمناً مع المحدث الكبير الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي وشارك في بعض أعماله العلمية والتحقيقية ، وكانت عنده أمنية للدراسة في جامعة الأزهر ، لكن لم يقدر له بسبب بعض الموانع ، على كل ، كانت دراسته ومطالعته للتراث القديم والجديد متفوقة على علماء عصره ، وقد استفاد من علمه بعض أمناء المكتبات الخطية ، إنه حينما يطلع على مخطوط أو كتاب مطبوع سارع إلى اشترائه واختزانه في مكتبته الخاصة ، وكانت مكتبه عامرة بالكتب القديمة والجديدة ، وكان ينفق على ذلك نقوداً كثيراً .

يزور الشيخ السيد محمد يحيى الندوي ندوة العلماء ، ويمكث فيها أياماً ، ويلقى كل صغير وكبير ، ويشجعه على المطالعة والاستزادة

من العلم ، ويركز على تحقيق النسخ الخطية الموجودة في مكتبات العالم الإسلامي ، وكان الشيخ محمد يحيى يعيش حياة ساذجة ، لا كلفة فيها ولا افتعال ، فكل من رآه أحبه وأعجب بأسلوب حديثه ، وكان يحضر مجالس الشيخ الجليل السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله ، ويفيد بتحقيقاته النادرة ، كما يتشرف أساتذة دار العلوم لندوة العلماء بلقائه ، ويستفيدون من علمه الغزير ، ولا تزال ترسل إليه مجلة البعث الإسلامي ، فيقرؤها ، وينتظرها بفارغ الصبر .

وقد ترك في صورة أوراقه المبعثرة أعماله التحقيقية أمثال أحاديث تاريخ بغداد : تخريج ودراسة ، يا ليت من يقوم بهذه المهمة العلمية ، ويأتي بها إلى النور ، ولا شك أن مكتبته ثروة قيمة لأهل العلم والبحث ، وهي عامرة بالكتب القيمة ، والمراجع الأصيلة ، التي اعترف بها بعض المحققين في العصر الحديث .

رحمه الله رحمة واسعة ، وأغدق عليه شآبيب رحمته ، وأدخله فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر الجميل .

(٢) الشيخ عبد الأحد الأزهري في ذمة الله تعالى

فوجئنا بوفاة الشيخ الجليل عبد الأحد الأزهري أحد العلماء الكبار في مدينة ماليغاؤن (مهاراشتر ، الهند) في ١٢/ رمضان ١٤٤٤هـ ، المصادف ٤/ أبريل ٢٠٢٣م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ عبد الأحد الأزهري رئيس جامعة معهد ملت في مدينة ماليغاؤن ، والعضو التأسيسي لهيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند ، ونائب رئيس لمجمع الفقه الإسلامي (الهند) ، إنه درس في معهد ملت وتخرج منها عام ١٩٥٨م ، ثم التحق بالجامعة الإسلامية دار العلوم بديوبند كما واصل دراسته في جامعة الأزهر ، وتخصص في العقائد والفلسفة ، ثم انخرط في سلك التدريس بجامعة معهد ملت تحت إشراف مؤسسها الشيخ عبد الحميد النعماني رحمه الله تعالى ، ودرَّس صحيح مسلم مدة أربعين سنة ، كما درَّس صحيح البخاري ١٢/ عاماً .

ترك وراءه أسرة حافلة بالبنين والبنات : أربعة أبناء ، وثلاث بنات ، وغيرهم من الأحفاد والأسباط – رزقهم الله الصحة والعافية – ونحن إذ نعزي أسرة الشيخ عبد الأحد الأزهري ، ولا سيما الأستاذ راشد أسعد الندوي أكبر أولاده ندعو الله تعالى أن يجزي الفقيد جزاءً حسناً بما قام من أعمال الدعوة والتعليم والتربية والإرشاد طول حياته .

عدد ممتاز

عن العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

رحمه الله تعالى

فوجئت أسرة مجلة البعث الإسلامي وندوة العلماء بأسرها بوفاة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي (رئيس ندوة العلماء ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، ورئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند) ، وهي حادث أليم لجميع الأوساط العلمية والأدبية والدينية في الهند وخارجها .

وإن حياة أستاذنا رحمه الله حافلة بكثير من الإنجازات والأعمال ، وهي مسجلة في ذاكرة التاريخ ، فالحاجة إلى إبراز نواح متنوعة لجهوده وآثاره ، فقد قررت أسرة المجلة إصدار عدد ممتاز للمجلة حول الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله .

يزدان بإذن الله هذا العدد بـ :

(١) جوانب مشرقة من حياته (٢) آثاره العلمية والأدبية

(٣) إبداعاته في الأدب الإسلامي (٤) بحوث ودراسات حول أعماله

وغيرها من كلمات التعزية وشعر الرثاء وأخبار التأبين .

الرجاء إرسال البحوث والمقالات على عجل إلى مكتب المجلة .

بشرى وتهنئة

قرر أعضاء مجلس الأمانة العامة لندوة العلماء الأستاذ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي بن الأستاذ السيد محمد الحسني رئيساً لندوة العلماء، بعد ما لحق العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي بالرفيق الأعلى ، يوم الخميس في ٢١/ رمضان ١٤٤٤هـ ، الموافق ١٣/ أبريل ٢٠٢٣م .

فتقدم أسرة المجلة أجمل التهاني والتبريكات القلبية إلى الأستاذ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي (حفظه الله ورعاه)، وتتمنى أن ندوة العلماء تزدهر زمن رئاسته ظاهراً وباطناً ، وتتوسع دوائر عملها بإذن الله تعالى . والله ولي التوفيق .

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2021 To 2023
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04

Despatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 69 Issue. No.05, June 2023

إصدارات حديثة

Designed by Hamid, Mob:9889654027,9918687777, E-mail:hrhamid1962@gmail.com

Printed & Published by MOHAMMAD TAHA ATHAR on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI